

کتابت
بسم

أخبرني عن وفاة والده مع أسف عليه
والى الله الأسراء

— 卅 —

هي قصة الحب العذرية احادة التي اصررت لك الحب الممدوي الطبع
 مع تصوير وتفسير لك احوال والاسلاف راء نام
 التبعه يا احلى حدة مع أشبه راءى سب
 بحمد رددت عر حله

[Handwritten signature]

مجنون ليلي

كان في زمن خلافة عبد الملك بن مروان رجل من أهل المقابر وأصحاب المناصب والمآثر يقال له الملوخ بن مزاحم ، وكان من سادات بني عامر وله من الأولاد الذكور ثلاثة أنفار كأنهم البدور وكل بالأدب مذكور ومشهور ، ومنهم قيس وهو صاحب هذا الديوان الذي اشتهر بالعشيق وحسن السريرة وكان أصغر إخوته عمراً وأغلامهم همه وأرفعهم قدراً ، وأفصحهم كلاماً وأجودهم نظماً وثراً وأعلمهم بالأدب وأخبار العرب وكان مع هذه الأوصاف جميل المنظر عالي الهممة فصيح الكلام طويل القوام كأنه البدر التمام ، حافظ زمام الاحتشام قد نطق بالشعر وهو ابن سبعة أعوام وكان أعز أخوته عند أبيه نظراً لأوصافه وحسن مساعية لأنه قد حاز جميع الصفات البديعة وحببته هي ليلى بنت المهدي تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك بدليل قوله :
تكاد بلاد الله يأأم مالك بما رحبت يوماً على تضيق

وكانت سمراء اللون قصيرة القامة فصيحة الكلام وعلى خدها الأيمن شامة وكان سبب عشقه لها أنه ركب يوماً على ناقه له وخرج من الحى على سبيل النزهة والتسيير وعليه حلتيان من الديباج والحرير فأقبل على بعض الغدران فوجد عليه جماعة من البنات والنساء فياهن بالسلام وتكلم معهن بأفصح كلام وأعجبهن غاية الإعجاب واستدعيته للحديث والخطاب وكانت ليلى من جملة من فنزل وجلس معهن وحمل يحادثهن ويقلب طرفه عليهن حتى وقعت عينه على ليلى فاعتن بها واندعش وخفق فؤاده وأرتعش وقال لمن هل عندكن شيء من الطعام ، قالت لا يا ابن الكرام ، فعمد إلى الناقة فنحرها وأضرم النار وأخذ يشاغلها بالحديث والأخبار ومناجدة الأشعار وهو شاخص فيها دون باقي النساء ثم قال لها أنا كلين الشواء قالت نعم أيها السيد المحترم ، فطرح الناقة على الجمر في الحال وقد اعتراه الخيال وتضعضت منه الأحوال من شدة الوجد والبلبال ، فقالت له ليلى انظر

إلى اللحم هل تضج أم لا ، فتقدم إلى الجر وقبضه بكتنا يديه وسقط على وجه الأرض معشياً عليه فأكل الجر لحم راحتيه .

فلما رآته على تلك الحال مدت إليه ذراعها وشدت يده بهدب قناعها وعالت أنه غرق في بحر هواها وقد اشتهاها وتمناها ، فغير لون وجهها من شدة الحياء وأقام قيس معهن كل ذلك اليوم إلى المساء ثم ذهب وهو على غير الاستواء من تباريح الوجد والهوى ، فلما جن الليل أخذ في الابتكار وصرف ليلة بالبكاء ومناشدة الأشعار فمن ذلك قوله :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا	لى الليل هزتنى إليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى	ويجمعنى الليل الذى هو جامع
إذا مر يوم من حياتى ولا أرى	خيالك ياليلى فعمرى ضائع
تضييق على الأرض حتى كأنى	من الصبر فى سجن فما أنا صانع

(قال الراوى) فلما كان ثانى الايام استدعته للنادمة والكلام وقد داخلها الحب والغرام لأنها كانت مغرمة بأحاديث الناس وأشعارهم وكان هو عارفاً بأيام العرب وأخبارهم فتمكنت بينهما المحبة والمودة حتى لم يستطع فراقها ساعة واحدة هذا ، هو المشهور فى كيفية عشقتهما حسب ما ذكرناه ، وزعم البعض أن سبب وقوع الهوى بينهما خلاف ما أوردناه وهو أنها قد كانا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله :

تعشقت ليلى وهى غر صغيرة	ولم يبد الأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى الهمم ياليت إنا	إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر الهمم

فتحابا ومضى على ذلك برهة وهما بأطيب عيش ونزهة ثم حجبت عنه كما سيأتى الخبر وجرى عليه ما لم يجر على قلب بشر ، وعلى كلتا الحالين عرف كل منهما ما عند الآخر ، وكان قيس يذهب فى كل يوم إلى بيتها فيقف عنده حتى يراها ، فيشكو إليها ما عنده من حبا وهواها ، ولم يكن دأبه إلا البكاء .

والانتحاب ومناشدة الأشعار في الليل والنهار ، وأقام أياماً لا يلد له حال ولا يسعم له بآل حتى اعتراه السقام من شدة الوجد والغرام .
(قال الراوى) ولما كان ذات يوم سأطها قيس أمراً من الأمور لينظر هل له في قلبها مثل الذى في قلبه فمحمته حاجته وأظهرت الفور وكان قصدها بذلك امتحان الصحة لترى ماء دمه من المحمة فقال لها لقد أخلفت ماعدته فيك ثم اصفر لون وجهه وكاد أن يتفطر وأشد يقول :

مضى زمن والسر يستمر دور
بعضننى حيك حتى كأنى
إذا ما هباني العاذون بحبها
وكيف أتبع عارين رحب
ولها سميت شعره كذب يفسدت قلوب :

کلاں مظهر نام اس بعد آکر دے۔ صاحب، مکمل
وہ اسرار الہیہ میں تھی۔ رات و رادی لا یسین
مکہ موت ہو جس کی یہ انفس تظہر الامیور
فقط نفساً بربک وتر ہے "وہ والہ فی تلجی ہدیز
حمد سامع سے باحر شہید عذر رکھتا ہوں امداد قال:

أحبك حـ لـ تحبين عـ
حبيب مع الغزبان يا نورد
هـ نفس عـ لا بكر حوجة
هـ صـ الحـ تـ تـ يـ هـ
هـ يـ يـ يـ يـ يـ يـ
هـ يـ يـ يـ يـ يـ يـ

تشكو ماله عندها من الشوق إلى رؤياه ، وأنها لا تميل إلى أحد سواه . فلما سمع كلامها طاب قلبه وزال غمه وكربه هذا وقد انتهى بالحديث مع بعضهم البعض حتى امتلأ الإناه وصار السمن يقطر على الأرض ، وما زالوا يتحدثن نحو ساعة من الزمان إلى أن غرقت أرجلها بالسمن ولا يعلمان ، وكان أبوها قد استبطأها مصاح عليها وناداهما فلم تفتبه إليه ولا ردت عليه ، فخرج ليكشف الخبر وقد أنكر أمرها فوجدهما على تلك الحالة المتقدم ذكرها ، فاستعظم ذلك الأمر ثم منعها الزيارة في الليل والنهار وحجبها عنه خوفاً من المضحية والدار ، فكان يغنم غملة الرقيب ويجمع بها فيطفي ما بقلبه من نار اللهب . فلما باغى ذلك شكاه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وأعلمه بذلك الشأن . فكتب إلى عامله الذي كان وثياً على القرم يأمره بقتله إدا هو ذرها بعد ذلك اليوم ، ولما قرأوا عليه الكتاب ووقف على حقيقة الخطاب تنهد وتحسر وأشد وقال :

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها على يميناً جاهداً لا أزورها

على غير شيء غير أنى أحبها وأر فؤادى عند ابلى سميرها

ولما نُس من زيارتها أحذه اقلق والوسواس حتى أشرف على زوال عتبه وصار مثلاً بين الناس ، فأقبل عليه أبوه وبوعمه وإخوته ومن يلوذ به من أهله وخلانهم وقالوا له يا قيس اتق الله وأعرض عن هذه الجارية واسلها واعلم أنك إن دمت على هذه الحال أتلفت مهجتك وهوها ونساء العرب كثيرات وفيهن من تضاهى البدور الراهرات فأحب من هي أحسن منها وإنك في غنى عنها فقد هنتك حالك بين الأهل والخلان وصرت مثلاً بين القبائل والعربان . فلما ألحوا عليه بالكلام قال دعوني يا قوم من اعتب رايي لا أختار امرأة عليها ولا أميل إلا إليها ثم أشد :

أن وقع مغشياً عليه ، فقدمت ورشت له الماء وقبلته بين عينيه ، فلما أفاق
أثمد وقال .

أفنى عن طلاب الغد إن كنت تمقل
تصاديك في ليلى ظلام مضلل
فصبرك فيما لا يدانيك أجمل
وأنت ليلى مستهام موكل
إليك ولكن أنت باللوم تعجل
لعل إلى أمام ليلى قتل
فقلت أحل حاشاك إن كنت تمقل
تبرو وفي بالعهود وأوصال
ولا ذنب لي ليلى وصفحك أجمل
وإن شئت قتلا إن حكمت أعدل
ويشني إذا ما جنى الناي - أصول
وعيشاه من رحد عايش تهر
ألى لك - ساد - عصفير -

رح من معره اغرورقت عيشاه بالدموع شوات فيه أن يحنق أملا
أه حرك قلب راجه وهو يبكى ويتهدد بها عظمه عليه الحال أسدوف -

زأ الرامق المشعوب بالله ناصري
أنا من المهرم والهاشم الناصري
أطال من رن - ثم - وتحسر
ثم - ليلى وزدي - مدد
أيرت ما أنت - تكون - بدة
المطرب - ترى نضب ميم

ومنقعي من يحور ويحم -
أراعي - ثريا والخليون وم
وأنت كاساً فيه - رعه
بروحى تقضى ماتحب رتحك
كلانا به - باق ولا تمك
فهاك يابى - برق ويرحم

صريع من الحب المبرح والهوى
 بكى لى با ليلي الفؤاد ولانه
 لعمرك ما لاقى جميل بن معمر
 ولم يلق قابوس وقيس وعروة
 صبا يوسف واستشعر الحب قلبه
 وبشر وهند ثم سعد وواق
 وهاروت لاقى من جوى الحب علة
 ولم يخل منه المصطفى سيد الورى
 أبيت صريع الحب دام من الهوى
 ولو لا طروق الليل أودت بنفسه
 بذاهى رادت فى النوى رادى الهوى
 أعارت أنفاس الصب بك صبوة
 ألا أن دمع الصب عما يحنه
 سانى عيى من الهوى وهو الخلق
 وكيف يضيق الصب كتمان سره
 (قال الأري) وأقام فيس بعد ذلك أياماً وهو يكابد ألم الفراق وفى ذات
 يوم ركب ناقته وصار ضالماً زبارة ليلي من ذلك المكان ، فوجد الحى خائياً
 من أسكن له يد مع نيه صوت إنسان سوى صياح البوم ونعيق الغربان
 جلس بهنصر الى مراند النيران وينأى فى تقاطعات الزمان ، فبعد ذلك زادت
 "رهبة النار" له رأى دارين قفراً ومكى بكاء مرأ وأنشد :

ولا يظنه منى أن رحلوا
 غير أنى سمع به أوبرت
 رجع عيها من جنة
 مرخص منى حيا طلابها
 وروى بديلى والى كواكب ضلح
 ومرصتها فى سائر ابدان نفع
 طير بيكيها وعابر يسجع
 فيا للهدا من صبوة كيف أحسم

أتبع ليلي حيث راحت وخيمت وما الناس إلا آلف ومودع
فإن يك جثماني بأرض بعيدة فإن فؤادي عندك الدهر أجمع
ألا تتقين الله في قتل عاشق له كبد حرى عليك تقطع
غريب مشوق مولع بدياركم وكل غريب الدار بالشوق مولع
فأصبحت بما أوقع الدهر موجعاً وكنت لريب الدهر لا أتضعضع
قنعت بلحظ منك ليلي وإنما ينال المنى من كان باللحظ يقنع
أبيت بروح الطريق كأنني آخر خيل أوصاله تنقطع

(قال الراوى) وبينما هو على تلك الحال وإذا براع يرعى غنمه في ذلك

أخى مقصده حتى وصل إليه نسلم عليه وسأله عن أخبار القوم فقال له :
رحلوا إلى جبل تورباد في صباح ذلك اليوم ، فسار وهو منزعج الفؤاد حتى
أقبل على جبل تورباد وكان ذلك الوقت في آخر النهار فوجده خالياً من
الرجال ليس فيه إلا النساء والبنات الأبتكار ، وبلغ ليلي قدومه من بعض
الجوارى فداخها الفرح والاسمندر فخرجت إلى ممشاد ردى لانه يق
أن تراه ، فلما وصلت إليه سلمت عليه فابتهج وانشرح وكاد يطير من الفرح
وأخذ كل منهما يتسكرو ما هو فيه من ألم الفراق والضوى وتماريح الوجوه
والجوى ، ثم قالت له في آخر كلام كيف كان صبرك عني يا قيس في هذه
الأيام ، فقال لها والله بأمية القلب والروح انتهى بين جنبين ليس لك عنك
صبر ولا سوان وقد أفلقتني الوجد والهيان من كثرة الأفكار وسهر الليل
والنهار حتى لم يبق لي هدوء ولا اضطراب ولا أقيمت في مكان وفري قرار
وما تركت زيارتك إلا خوفاً عليك من الأعداء اللثام الذين ليس همهم
ولا ذمام ، إن زيارتك تنجلي عمومي وتنقض غمومي ، وبشرح مسرى
ز تصفو مرآة فكري تم بكى وأنشد يقول :

أبا نس رند الين يقدح في صدرى ونار لاسى ترمى فؤادى بهجر
والله ما أنساك ما هبت انصبا وما ناحت الأغيار في وضوح الفجر

وما نطقت بالليل سارية القطا وما صدحت في الصبح غادية الكدر
وما لاح نجم في السماء وما بكت مطوقة شجراً على قن السدر
وما طلعت شمس لدى كل شارق وما هطلت عين على واضح النحر
فأقسم لا أنساك ما ذر كوكب وما خب آل في معلة قفر
فلما سمعت منه هذه الآيات بكيت وضمته إلى صدرها وأنشدت :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقتي - حلول بقلبي من هواك قديم
وينني جفاك النوم من كل لذة ويقلقني ذكرك وهو عظيم
ثم ودعها وسار خوفاً من قدوم الرجال وفي رجوعه إلى أهله أنشد وقال :
حلا ذكر الأحبة في فؤادي فهمت من الغرام بكل واد
وقد باحت بأسراري دموعي وجفني قد جفا طيب الرقاد
وكم ناديت بين خيام ليلى وكم في حبها مثلي ينادي
أنا المضي فجودي لي بوصل فقد زاد السقام إلى السهاد
وكم أجريت يوم البين دمعاً على الخدين كالسحب الخوادي
فما أحلى التهنك في حماها حماها الله من كيد الأعادي
عسى بالوصل أحظى قبل موتي وأفرح باللقاء بعد السهاد
(وقال أيضاً)

إذا نظرت نحوى تكلم طرفها فجوابها طرفي ونحن مستوت
ولو خلط السم المذاب بريقتها وأسقيت منه نهلة ليعريت
(وقال أيضاً)

ولو شهدتن حين تأتي منيتي جلا سكرات الموت عى كلامها
فيا ليتنا نجيا جميعاً وإن نمت تجاوز في الملوكي عظامها
(قال الراوي) وجد قيس في قطع الطريق وهو مسرور بذلك اتوفق
حتى أقبل إلى الديار والشوق في قلبه كليب النار، فلما دخل إلى الخيام قدمت
له أمه شيئاً من الطعام فأبى ولم يأكل ولا عرفت منه عينه المنهم بل قضى ليله

في البكاء والترواح إلى أن بدت غرة الصباح ، فلما رآه أبوه على تلك الحال وقد
تغير جسمه واعتراه الهزال رثى لحاله وخاف من الزعاج باله وقال يا ولدي
ويا مهجة كبدي ارجع عن هذا الأمر واقبل النصيحة فقد هتكت نفسك
وصرت مثلاً بين الوري وأحدوثه لكل من يسمع ويرى ، فكم قد نصحتك
وأنت لم تسمع وأردك فلم ترجع وكل ذلك من أجل جارية من بنات العرب
وهي دونك في الحسب والنسب ، وأنا أشير عليك الآن ألا تذكرها بشقة
ولا بلسان فإن حديثك قد شاع بين جميع العربان واشتهر في كل مكان ،
فاذكر الله وتب إليه بما أنت عليه . فلما سمع من أبيه ذلك الخطاب تغلب
عليه الحزن والاكتئاب وقال له كلما حدثتني بهذا الكلام ازداد بي العشق
والغرام ثم هاجت به الأشواق وغلبت عليه غمسه الفراق ، فبكى وانتحب
وقاض دمه وانسكب ، واشتدل قلبه والتهب وأنشد يقول :

وكم قاتل لي اسل عنها بغيرها	وذلك من قول الوشاة عجيب
فقلت وعيني تستهل دموعها	وقلبي بأكفاف الحبيب يذوب
لئن كان لي قلب يذوب بذكرها	وقلب بأخرى إنها لقلوب
فياليل جودي بالوصال فياتي	بحبك رهن والفؤاد كئيب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فينها	من الوجد قد جادت عليك تذوب
وألقي من الوجد المبرح سورة	لها بين جلدي والعظام ديب
وأنى لاستحييتك حتى كأنما	على بظهر الغيب منك رقيب

(قال الراوى) فبكى أهله رحمة له وطلبوا من الله أن يعافيه بما ابتلاه .

فلما سمع كلامهم تنفس الصعداء وتهدأ وأشار إليهم وأنشد :

لقد لآمني في حب ليلى أقاربى	أبى وابن عمى وابن خالى وخاليا
يقولون ليلى أهل بيت عداوة	بنفسى ليلى من عدو وماليا
أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها	بشئ ولا أهلى يريدونها ليا

فليت نسيم الريح أدى تحتي
 فيا عجباً ممن يلوم على الهوى
 وهيهات أسلو من الوجد والهوى
 معذبتى لولاك ما كنت هاتماً
 أبيت ضجيع الهم ما طعم الكرى
 يساحرة العينين كالشمس وجهها
 خليلي هـ را لي فرائي وارفعها
 وإن مت من داء الصباية بلغها

(وقال أيضاً)

ما بال قلبك يا مجنون قد هاعا
 يقرل صبي ودمع العين منحد
 طالما أبكى لم أسمع بمنزلة
 بقات كفوا بن القلب زيجكم
 طوبى لمن أنت باليلي قرينته
 لما ترات كتاباً منك يبلغني
 دعوا إلى هجرها قلبي فيتبعني
 لا يستطيع نزوعاً عن مودتها
 كم من وفي لها قد كنت أتبعه
 تزيدني كلفاً في الحب إن منعت
 وهاتف من فنان الأيك أزجني
 كأن عينيه من حسن احمرارهما
 يدعو حمامته طير وقد هجعت
 كأنه راهب في رأس صومعة

في عشق من لا ترى في رصلها طامعها
 سبلا على الخند هطالا ومنذوعها
 هذا البكاء لصب مرجع فجعا
 تركان صخرة صماء لا تصدعا
 لقد نفي الله عنه الهم والوجع
 إلا ترقرق دمع العين وإن فدا
 حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
 أو يمنع الوجد فيها غير ما صنعنا
 ولو صحا القلب عنها كان لي تبعها
 أحب شيء إلى الإنسان ما منعنا
 بصوته في ظلام الليل حين دعا
 فسان من حجر الياقوت بدقطعا
 والله ما هجعت عين وما هجما
 يتلو الزبور ونجم الصبح قد طلعا

ما زال مذ كان طفلاً يسكن البيعا
قد كان يخفضها طويلاً ويرتفعها
قل العزاء وأبدى القلب ماجزعا
وإن أراد وقوعاً قلبه وقعا
ترجع إلى وكل الطير قد رجعا
عند الفراق بوجد قط ما فجعا
حتى رأيت عمود الصبح قد سطعا
والحمد لله شكراً للذي صنعنا
لا بارك الله فيمن خان أو قطعنا
وأيس يوصل رأس بعد ما قطعنا
فلا يضع جميل أينما زرعنا

أوقس دير تلا مزماره سحرا
فالريح تخفضه حيناً وترفعه
فقلت يا طير ما هذا البكاء وقد
إن طرت طار معي كي لا يفارقني
وقد دعاني به ريب المنون ولم
وكل ألف يبكي ألف صاحبه
وكنت أبكي ونار الوجد تملقني
فالحمد لله أبكاني وأضحكني
أحفظ صديقتك لا تقطع مودته
إن النازل تبني بعد ما خربت
إزرع جميلاً ولو في غير موضعه

(وقال أيضا)

وبدريح لم يسمع فتن هبوب
وكاد جلاميد الصحور تذوب
رايتني قتل للرجل خلوب
بغضى أما في العاذلين نيب
فها موت مثلي في هواك عجيب
ذكرتك لم تكتب على ذنوب
عن العهد مكم ما أقام عسيب

ولو أن ماني باخصى بق لخصى
ولو أن ماني بالجلال لهمت
تذكرني ليلى على بها دارها
فويلي على العذال ما تركوتني
فإن عشت لا أبغى سواك وإن أمت
ولو أني أسبغ من الله كلما
فدومي على عهدى ولست بزائل

(قال الراوى) وما زال قيس على مثل هذا الشأن مدة من الزمان ، وهو بكابد الوجد والهيان ، وقد تسلبت عليه الهموم والأحزان وكان كثيراً ما يجول في العلوات يندب نذب الثالكات ، ويمر بين أشجار الغضا ، ويتوغل في العلا والفضا ، حتى صار في حالة الذل والويل من كثرة البكاء

ومهر الليل واتفق أنه مر يوماً في بعض الكتيبان فرأى أن رجلاً نصب
شركاً لصيد الغزلان ، قدنا منه وحياء بالسلام وقال له عندك شيء من الطعام
فقال إني بعيد الديار مسافة نصف نهار ، وقد نصبت أسراك في هذه البري
فاصبر قليلاً واطرد على الظبا ، فإن اصطدنا بلغنا المراد وسددنا رمق القواد ،
لأنني من نحو يومين ما استطعت بزاد ، فبينما هو عنده إذ وقعت بالشرك
ظبية فوثب قيس إليها وقبلها بين عينيها ثم أطلقها وأشار يقول :

أيا شبه ليلى لا تراعى قاني	لك اليوم من دون الوحوش صديق
ويأشبه ليلى لو توقفت ساعة	عليها سحب هاطل وبروق
ويأشبه ليلى لو توقفت ساعة	لعل قوادى من جواه يفيق
أقول وقد أطلقها من وثاقها	فأنت لليلي إن شكرت طليق
فبيناك عيناها وجيدك جيدها	سوى أن عظم الساق منك دقيق
تسكاد بلاد الله يا أم مالك	بما رحبت يوماً على تضيق
تتوق إليها النفس ثم أردوها	حياء ومثلى بالحياء خليق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني	حيب وانى للحبيب مشوق
أروم سلو النفس عنك وما لها	إلى أحد إلا إليك طريق

فاستشاط الصياد غضباً وتغيرت منه الأحوال واعتراه الاتزهاال ، وقال
يا هذا ماهذه الفعال التي لم يسبق إليها أحد من الجهال ، فقد من الله علينا بما
كنا نتمناه ، فأحرمتنا إياه ، فقال له قيس وقد اشتد به جواه وعظم مصابه
وبلاء ، لا تلني فإن عينيها تشبه عيني من أهواه ، ثم تركه وسار يحول
في تلك القفار ، وإذا به يرى ظبية أخرى وأسرع نحوها وقبض عليها ومسح
التراب عن وجهها وقرنيها وبعد ذلك أطلقها وأشار يقول :

أذهني في حراسة الرحمن أنت منى في ذمة وأمان
لا تخافى ولا تخافى بسوء ما تمنى الحمام في الأغصان

(وقال أيضاً)

أقول لطبي مربي وهو رائع أنت آخر ليلى يقال يقال
أياشبه ليلى إن ليلى مريضة وأنت صحيح إن ذا الحال
(قال الراوي) وكانت ليلى قد مرضت مرضاً شديداً، فلما بلغه الخبر
خفق مؤاده وتكدر، وأخذته القاق والضجر، وأنشد يقول :
يقولون ليلى بالعراق مريضة فإلك لاتصني وأنت صديق



(قيس، وليلى يتناجيان) بريشة أمير عباس

رفي الله مرضى بالعراق فإني على كل مرضى بالعراق شفيق
فإن تلك ليلى بالعراق مريضة فإني في بحر العرام غريق
أدم بأقطار البلاد وعرضها ومالي إلى ليلى الغدة طريق
كأن فؤادي فيه ناز تمادحت وفيه طيب طاع وبروق

إذا ذكرتها النفس ماتت صباية لها زفرة قتالة وشهيق
سبتنى شمس تخجل الشمس نورها ويكشف ضوء البدر وهو شروق
غراية الفرعين بدرية النسا ومنظرها بادي الجمال أنيق
وقد صرت مجنونا من الحب هائما كأنى عان فى القيود وثيق
برى حبها جسمى وقابى ومهجنى فلم يبق إلا أعظم وعروف
فلا تعدلوا بل إن هاسكت ترجوا على قنقد النفس ليس يعوق
وخطوا على قبرى إذا مت أسطرا قتيل لحاظ مات وهو عشيق
إلى الله أشكو ما ألاق من الهوى بايلى فى قلبى جوى وحريق
(وقال أيضاً)

ألا إن ليلى بالعراق مريضة وأنت خلى البال تهنو وترقد
فوكيت يا مجنون تضنى من الهوى لبت كما بات السليم المسهد
(قال الراوى) ومررت ذات يوم بليلى وهى واقفة على باب حباها رهى
تد تعافت من عياها ، فهالت له ياهذا إلى أين أنت سائر ؟ فقال لها إلى ديار
هى غار ، فمررت وبكت وأنت رائستك وأنشدت بقول :

يا أراكب المزجى مطيه عرج لأنبيء عنى بعض ما أجد
فما ترى الناس من وجد تضمنه إلا ووجدى بقيس فوق ما وجدو
هوى زمام رانى فى مودتها ورده إلى آخر الأيام احتهد

(قال الراوى) فاستفق لرجل عليها وتقدم إليها وقال لها حياك الله يا حرة
عرب من لك من صبية كنت إن كنت من أهل المروءة وكرم الأخلاق والفتوة
وعن منى هذه المهرج زاجر كسر قبي الملهوف وهو أنك متى وصلت إلى
بها وت بن الملوح بن مزاحم فمضى اجتمع به أقرانه
مى فى شدة انوحه والغرام

وهي لا تلتذ بطعام ولا تذوق أجفانها المنام وقد سارت ميلا بين النساء في سائر
الأنحاء ثم كتبت له رقعة ضمنتها هذه الأبيات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك بلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا . بحسمى من قول الوشاة كلوم
وسار الرجل طالباً حتى بنى عامر حتى وصل إليه واستدل على قيس فدلوه عليه
فخياه بالسلام وحدته بما قانته ليلي على المنام . فلما سمع قيس شعر ليلي أن أنين
الشكلى ثم تنهد من فؤاده متبول وكتب إليها مع ذلك الرجل يقول :
وأنت التي كلفتني دليج السرى وأحدثت جرح القلب وهو كليم
وأنت التي قطعت قلبي صباية ورقرت دمع العين وهو سحور
وأنت التي أغضبت قومي فكاههم بعيد الرضى داني القطوف كخيل
ثم خرج تجول في نواحي ذلك الوطن إذ مر به سرب من القطار ما رآه
أنشد يقول :

شكوت إلى سرب القطار إذ مررتني	فقلت ومثلي ألكاه جدير
أسرب القطار هل من معير جناحه	لعلني إلى من قد هويت أطير
وأى قطاة لم يعرني جناحها	وعاشت نصر والجناح كسير
وإلا فمن هذا يؤدى رسالي	وأشكره إن المحب شكور
إلى الله أشكو صبوتي بعد كربتي	ونيران شوقي ما بهن فتور
فإن لم أمت هما وغماً وكربة	يعاودني بعد الزفير زفير
إذا جلسوا في مجلسي هدر وادمي	وكيف تراها عند ذاك تجير
ودون دمي هز الرماح كأنها	توقد جمر ثاقب وسعير
أرى النوم يأتي دون ليلي كأنما	أنى دون ليلي حجة وشهير
ففسكى أسيراً مستهماً وإنه	إلى ذاك منكم وأرحميه فقير

طوت أم عمرو بعد نأى ركاها
رجال جبال البعد بيني وبينها
قطعن الحصى والرمل حتى تفلقت
سلوا أم عمرو هل ينول عاشق
ألا قل لليلي هل تراها مجبرتي
أظن يحزن أن تغنت حمامة
بكت حين در الشوق لي وترنمت
أينذهب عقلي بعد حلمي وقد علا
ومستجيلي بعد التحلم نسوة
تعودن قنبل المسلمين كأنها

(فان الراوى) ثم مضى على وجهه وأوسع في القنار فبينما هو يدور إذ
طبار يجاوب بعضها بعضاً على غصون الأشجار فنادوا وأندد بقول

ألا يا حمامات الحمى عدن عودة
فعدن فعد عدن من شدة قرني
عدن يفرقن الهدير كأنها
فمن عبي مثلهن حماماً
وأصحن قد قرقرن إلا حمامة
تذكرني ليلى على بعد دارها
فبالبت ليلى بعضهن وليلى

(وقال أيضاً)

أجسك يا حمامات تنووق
أعرك يا حمامات طريقت
ورن في شكاة أقبر حلق

فمن ديجت وذهوق حرق
بأني لا أمان وتمجدينه
رأت في شكاك فكنا

وإني قد براني الحب حتى
أراك الله في محلك السلامي
ولست وإن حننت أشد وجداً
وفي مثل الذي بك غير أي
أما والله غير قلى وبغض
لقد جعلت دواوين الغرائي
فقدما كنت أرجى الناس عندي
ألا لا تنسين روعات قلبي
فبينما هو على مثل ذلك هبت ريح من نحو أرض نجد فراج به الغراد
الوجود بأشد وقال :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
رعى الله من نجد أناساً أحبهم
سقى الله نجه أو المقيم بأرضها
إذا هتفت ورقام في روتق المضحي
نكيت كما يكي الوليد ولم أزل
وأصبحت قد قضيت كل نباله
وإن قربت دار بكيت وإن نأت
ألا حبذا نجد وطيب تراه
إذا وعدت زاد أهوى لا تتظارها
وقد زعموا أن الحب إذا دنا
بكل تدأوينا ولم يشف ما بنا
على أن قرب الدار ليس بتافع
ثم سر به غراب تخفق نواذه ررتب
ألا يا غراب أمين هيبت أوعى
وقد زادني سرالك وجداً على وجد
الواعة ضرواً عهدى حففت لهم ودى
سحاب غواد خبايات من الرعد
على فمن عض النباتات من الرند
جليداً رأيت الذي ما كن أبدي
نمامية راسماني قلبي إلى نجد
كانت فلا تقرب أسلو ولا أبعد
وأرواحه إن كان نجد على العبد
وإن بخلت الوعدت على الوعد
عمل وإن المأى يشقى من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد
إذا كان من ترواه ليس أي ود
وعظمه عليه السوء وشد وقول
فويحك خبرني به أنت تصرح

أبالبين من ليلي فإن كنت صادقاً
ولا زال رام فيك فوق سهامه
ولا زلت من عذاب المياه مبقراً
فان طرت أردتك الختوف وإن تقع
وعابنت قبل الموت لحملك مشدخاً
ولا زلت في شر "عذاب مخلد"اً
ولا زال عظم من جناحك يفسخ
ولا أنت في عيش ولا أنت تفرخ
ووكرك مهتماً ويضك يرضخ
تقيض ثعبان بوجهك ينفخ
على جمر حرثا ريشوى ويطبخ
وريشك منتوف وجلدك يساج

(قال الراوى) ولما جن عليه الظلام ارتد راجعاً إلى الخيام وبات في غلق شديد وغم ما عليه من مزيد . ولما كان الصباح رجع إلى ما كان عليه من "سكاه" ، وأوح وقال وما زال على تلك الحال حتى ضعف جسمه واعتل ، وكاد عقله من شدة الوسواس أن يختل ويبيع لبلى الخبر وأخذها القلق وضجر ، واضطرب وناو وناو . وفاض دمعها على حديها وندحر ، روضت على أركانها وسهر وجرى غايها . ثم يجرى عن تاب وشر فمكنت ، إليه مع من تعتمد عليه أيها الخبيب والسيد الأديب مهجة الفؤاد وزينة الأجر . ثم سائر الزام بالكمال وحين الخصال ، وحفظ العهود والذمام والمحبة الصالحة الحذات من الآثام ، لقد بلغنى ما أنت فيه من الشوق والعرام والوجد والهيام ومكابدة "سهر وعجرا ن الطعام واحتمال كلام اللوم حتى اعتراك الهزال وصرت ناحلاً كالتخيل وحيث الحالة هذه ناحصر . نصف الليل إلى وادى "الاراك" وأنا أرايك إلى هناك ولو خاطرت بنفسى في هواك فلا يساوى لذة رؤياك وختمت كلامها بهذين البيتين :

يا ميسرى أنت مقصودى ومطلوبى وأنت رغباً عن الأعداء محبوبى
إن تحتجب عن عيون أصب يا أملى ما أنت عن قلبى المضى بمحجوب

(قال الراوى) وثنا بغير قياساً هذه الرسالة ووقف على نحو تلك المقالة الشرح صدره واستراح وحقت عنه بعض الأتراح وأنشد وقال :

تعود مريضاً أسقمته بهجرها ولو طودته عاد لا يعرف السقمها

أضربت بالقلب ناراً من الجوى فما تركت عظماً ولا تركت لحماً
وإني على هجرتها وصدورها وما حل بي منها أرى حبها حتماً
خليلي كما لا تلوما متيماً ولا تقتلا صبا بلومكما ظلماً

(قال الراوى) تم انه قصد ذلك المكان وفي قلبه لهيب النيران إلى أن وصل إلى تلك الأرض عند إفوال الظلام ، فجلس وهو يتأدس في الرعي والآكام إلى أن انتصف ظلام الليل ونجا نجم سهيل ، فعند ذلك زاد به القلق والسوت والأرق ، فارتعس فؤاده وحقق ووقع على وجه الأرض ونهق ، وإذا بليلي قد أقبلت فتقدمت إليه وسلمت عليه وقبلته في عارضيه وبين عينييه ، لما رأيتها فرح و . يسر ورأى فيه الغم واضجر فنهض في الحال وجلس وردت روحه إليه بعد أن كان على آخر نفس لأن العاشق لا يبرأ إلا بنظر الحبيب ، إذ رآه ذمب مابقة له من الهميم . ثم قالت له لقد بلغني ما أنت به من الهم والحزن حتى ضعفت جسمك ونعمير لون وجهك بعد ذلك الحس وذئلك كآ ، لأحلى ملاكت أما رلا كان أهلى . فله لها وحق من يقول المتيء كى سيكون انتهى منذ فارقتك لأن لم تغضض لى جفون ، بل كنت أهيم مع الوحرش فى البرارى و قمار شد الانسار وأتفتى الآثار وألقى نفسى فى المهالك والأخطار وأصل اللين بالهار ، ولا يطيب لى عيش ولا يقر لى قرار . حتى نصرت الأمل مى و انقلبت القلوب عنى وكنت كلما ذكرت ك خفق فؤادى وغاب رشادى وتلبلل خاطرى واشتعلت سرائرى إلى أن اضمحل جسمى من الهزال وداب من شدة الوجد والبال لأن ملك الهوى عنيد وقيده أشد من ملاسل الحديد والآن قد انحلت عن قلبى الكروب وانشرح صدرى برؤيتك بعد أن كان متعوب ، ثم غلب عليه جواه وتذكر ما فاساه فتأوه وتهده وأشار إليها وأشد :

والله لا أدرى علام هجرتنى وأى أمور فيك يا ليل أركب

وأشرب كأساً عليهما ليس يشرب
وأبقيت قلباً في هواك يعذب
لا العيش يصفه لي ولا الموت بقرب
نقاسي عذاب الموت والطفل يلعب
ولا الطير طلق الجناح فيذهب
ولا الظمل ذو عقل يرق لحالها

(قال الراوي) هذا انتهى قيس من أبياته تساقط دمه على وحشته
وقالت له جزاك الله خيراً ولا أراك سوءاً ولا ضيراً ، ثم فاضت عيناه
بالدموع وتنفست من هوان موجدوع وأشدت :

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى
تقطع من وحد وذاب حبيده
ثلاثون يوه كل يوه ربيعة
موت وأحيا إن ذا لشديد
(قال الراوي) ثم أنها حدثته بحالها وما أصابها من أجله ركيب خجور
معهها حبة وبه وأنها تحبه واشتبهه ، قال ومارال قيس يحادث لبي ، يستدسر
بالضر إلى أن مضى وقت سحر يلاح ضوء النهار وظهر فعمد ذلك ودعته
ورجعت على الأنز حوداً من أن يراها أحد من البئر ، ورجع هو يطلب
طلابه والديار وفي قلبه من أجلها لرتج من نار وهر يشد ويقول :

لقد أرسلت لبي إلى رسو ما
خئت على خوف وكنت معوذ
فت مولات لا مـ مـ ربيعة
وكيف عزي قيس تم علك
هو أنـ تدع الحـ مـ مـ
ولو مسحت ، لذهب أعني لأدست
مـ مـ تسج أحيد برحمـ

أب آما سرآ إذا لالين أظنا
أحاذر أيقاظاً عداة وبوم
ولم تتبع يا صاح والله محرم
وقد أوريثت في نقاب داء مكتما
وبو كلمت ميتة إذا تسكلم
صم وشيكاً ثم عاد بلا عي
تزين مـ مـ عفة وتكرما

هتلك التي لم يكن داء دواؤه وهاروت كل السحر منها تعلما

(وقال أيضاً)

سأبكي على ما فات من صباية وأندب أيام السرور الذواهب
رأيت عيني أن تاد بغيركم وإني وإن جابت غير بجانب
وخير زمان كنت أرجو ديوه رمتنا عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوها وكنت محبداً وصبراً على مكروهما والعواقب

(وقال أيضاً)

رمسى من لا زلي أن أعاجره ومن أباقي أيسور وامسرذا كره
ش أحل أحبت من لا يحبي وبغضت من تـ كـت حيناً أعاشره
ألا يشذاه نفساً تسعد الدوى ونجوى قودى لا نباح سرائره
أحملك يا ألي على غير ربة وما خير حب لا تعرف ضمائره
وقد كان قلب في حجاب يكمه فبك من دون الحجاب يباشره
وصد ساء ما يج في أروى رفيت من ثوبه عدو أحادره

(وقال أيضاً)

بصاه أكرها أبعيم كأمها قمر توسط حفرح أيسر أسود
درسومة بأحسن دات حواسد إن الحسار مطافه أبعسد
وثرى ساهها ترفق مقلة سوداء ترعب عن سواد الإند
عود إذ كثر الكلام قدوذت بحمي الحياء وإن تكلم تقصد

(وقال أيضاً)

من ألو، يح د رأني لأيسر طوال الليالي من قصول إلى مجد
أنا لا أرى رأني وأعترف سحر إلى يوم القيامة والوعد
وما ذن سبب لي لي حمر وشوقه إني أيسمر حتى علاه أثير واس ونرك محادثة
أنا رخرجه عا، حمر القيامة فكأ لا ينس قيصاً إلا حرفة ولا ثوباً إلا مزقة

كان كثيراً ما يطوف في البراري والهضاب ويكتب الشعر بإعجابه في الأرض
على التراب ودمعه يجري على خديه مثل قطار السحاب ، ولما طال عليه الحال
رقت له قلوب الرجال وأقبل منهم جماعة على أبيه وقالوا له أخرج به إلى مكة يطوف
بالبیت لعن الله يعافيه وعن حب ليلى يسليه فأجابهم إلى ذلك وامتلأ وسار إلى
مكة على عجل فلما قدموا به قال له أبوه يا قيس تعلق بأستار الكعبة ففعل فقال
اللهم يا من احتجب عن عبود العالم بما كان بما يكون أرحه من حب ليلى
وأزل عن هذا الجنون ، فقال قيس أيها الإله الخالق القادر على كل شيء إني تائب
إليك من جميع أخطائي والذنب إلا عن حب ليلى وذكرها فإني لا أتوب ، ثم
تأوه وتهد وتمس الصدود وأنشد :

دعا المحرمون الله يستغفروا به
وإني : يا رحمن . أنى
يقولون أتيت عن حب ليلى وذكرها
يقول لعيني قربها ويزيدني
فيا من سمعاً أنت ربي
والجميع أبره هذه الأبيات ههنا
من لرجال رسأه أن يدبر له الفرج والخلص من هذه الحال ، فلما أخذ
ليس في الدعاء له أنشد وقال :

ذكرتك والحبيب له ضجيج
فقت ونحن في حرام
أتوب إليك يا رحمن
واسأل هوى بي ربي
فكيف وعده في ربه
رقت أو روى ثم ترك الباء والخرم ونهزم وقصد البراري والأكم

فتبعه أبوه وجماعة من قومه حتى أدركوه . وأرادوا أن يربطوه بالحبال ويكتفوه ، فقال لهم بالله عليكم تمهلوا على قلبلا فإن قلبي أضخم عليلاً ثم صاح صيحة عظيمة وأشد يقول :

أحقاً عباد الله أن لست صادراً ولا وارداً إلا على رقيب
ولا جالساً وحدي ولا في جملة
وهل ريبة في أن تمن نجية
وكيف أعزى القلب بعد فراقها
(وقال أيضاً)

إلى الله أشكو وفد ليلى كما شكاً إلى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون فعظمه كسير وقد الوالدين عظيم
بكت كبدى من ففدها وتهلت دموعى كما ضل فهو سجون
وإن زماناً فرق الله بيننا وبينك ياليلي فذاك مشوم
دعوني فما عن رأيكم كان حياً ونكده حظ لها وقسيم
(وقال أيضاً)

يا هجر ليلى قد بعثت في الناسي وردت على ما لم يكن يقع وفجر
عجبت لسمي الدهر بيني وبينها لما انتضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدت جوى كل ليلة وبساوة الأيام موعدهك الخضر
تكد يدي تدي إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الررق الخضر
ورجسه له دياجة قرنية به تكشف البلوى ويستنزل القطار
ريهتر ن تحت الثياب قوامها كما أتر غصن المان والذين التمر
يا حمداً الأحياء ما دمت بهم رباحين الأموات إن ضمك التبر
رائي لتعورني بذكرات ففدها كما انتفخر بصفر بالله القطار
تسمى ان حبه حناير عتبرنا رجوت زيارت ليلى أن يكون أما لا جبر

فأهول إلا أن أراها فجأة فأيبت لا عرف لأدى ولا نكر
قلو أن ماى بالخصى فلق الخصى بالصخرة الصماء لا تصدع الصخر
ولو أن ماى بالوحوش لما رعت ولا ساغها الماء النير ولا الزهر
ولو أن ماى بالبحار لما جرت بأمواجها بحر إذا زخر البحر

(قال الراوى) فبكى أبوه شفقة عليه وهطلت دموعه على وجنتيه ، ثم
اعتنقه وقبله بين عينيه وقال له يا ولدى إلى متى وأنت فى هذا الشقاء العظيم
والبلاء الجسم ، أما كفك الجولان فى القفار وعدم الهجوع والقرار وسهر
الليل والنهار ، حتى عدمت النشاط وصرت كل يوم فى ضعف وانحطاط ،
فإن بقيت على مثل هذه الحال لا تزال فى انهزال وانحلال لأنه ليس فى ذلك
إلا إضاعة العمر والمصير إلى المهالك ، فعدمعى الآن إلى بنى عامر وكن مفشرح
الصدر مطمئن خاطر وأما أتلا فى هذه القصة وأزوجك بليلى وأزيل عنك
هذه الغصة قال :

وما زال أبوه يشاغله بالأحاديث اللطيفة والعبارات الظريفة إلى أن
راق ولان ورجع معه إلى الأوطان وزالت عنه الغموم والأحزان وفرح
به الأهل والخلان وصار عند أبيه فى أعلى درجة وأرفع مكان ، فهذا ما كان
منه وما جرى له من مكابدة العشق وحر الصباية والوله . وأما من كان من
ليلى فإنه قد شاع ذكرها بالآفاق وتحدثت فيها الناس فى الحجاز وبلاد نجد
والعراق ، وتناشدوا ما قال فيها قيس من الأشعار الرقاق ، التى لم يسبقه إليها
أحد من فحول الشعراء والعشاق ، فكان كل واحد يود أن ينظر ويتمنى أن
يرأها ويبصرها فترادفت عليها الخطاب وكثرت عليها الصلاب ودخلوا على
أبيها فى ذلك من كل باب ، وكان من جهاتهم رجل من بنى ثقيف يقال له سعد بن
المنيف وكان أعظم من طلبها قدراً وأخفهم ذكرًا فاستشار الأب ابنته ليلى
وأظهر له رغبته فى ذلك المولى وقال لها قد انتشر صيتك فى بلاد العرب

وخطبك من السادات أصحاب المناصب والرتب ، وأنا أصدق كل طالب ولا
أصغى لخطبة خاطب خوفاً من زوج دميم الأخلاق قبيح السيرة كرام المذاق
لا تقدرين على معاشرته وتتعين في مراقبته ، إلى أن خطبك هذا الإنسان
وهو من أكابر هذا الزمان وعمدة الزوات والأعيان كثير المال محمود الخصال
عبد تحلى بالآداب والجمال واتصف بالهمة العالية والكمال وقد أجبتة إلى هذا السؤال
وأزوجك إياه دون بقية الرجال لأنه لا بد للمرأة من زوج يلها فيسترها
ويفرج همها ، فلما سمعت ليلى من أيها ذلك الخطاب ، أظهرت الكدر
والاكتئاب وعظم عليها ذلك الأمر واكتوى قلبها بلهب الجمر لأن هذا
الخبر لا يوافق غرضها ولا يشق غلتها ومرضاها لأنها كانت تحب قيساً وتميل
إليه ولا يستقر خاطرها إلا عليه نظراً لما بينهما من المحبة القديمة والصداقة
القوية فأنت ولم تقبل وفضلت حلول الأجل وقالت هذا أمر لا يتم أبداً
ولو مت قهراً وكهداً ، فلما سمع كلامها وعلم ما في ضميرها ومرامها تهددها
ودار به الغيظ ، فلطمها فاجتمع عليه الجيران والأهل والخلان فلما رأت
ما حل بها من الهوان وإن موج البلايا أحاط بها من كل مكان أجابت سؤاله
بالكره والإجبار لا بالطوع والاختيار ثم ندمت على زواجها غاية الندم
وجرى قلم القضاء بما حكم ، وصارت محبتها له تكلفاً ورؤيتها إياه تعسفاً
فكان لا يقر لها قرار ولا يطيب لها عيش لا بالليل ولا بالنهار . قال ولما
بلغ قيساً هذا الخبر اضطرب وتحرق قلبه والتهب واستولى عليه الجنون
بعد الهدوء والسكون وأشد يقول :

وقد خبروني أن ليلى تزوجت ولا بد لي من أن ألاق خليلها
فإن كان مثلي لم ألمها على الهوى وإن كان دوني فبس ما قد قضى لها
وإن كان من أوباش ما حوت القرى لقد تعست ليلى وأضنت خليلها

(وقال أيضاً)

حبيب تأى عنى الزمان بقربه فصيرنى فرداً بغير حبيب
على قلب محزون ونفس مدله ووحشة مهجور وذل غريب
فياحب الأيام هل فيك مطمع لرد حبيب أو لدفع كرب

ثم خنفته العبرة وزادت عليه الحال ، ونفجر يهيم في الصحارى والتلال
ويطوف في قتل الجبال ويتحمل المشقات والأثقال ، ويقتحم الموارد حتى
ضعف جسمه من شدة الانفعال . وجف جده على عظمه لقوة الهزان وشق
على الأهل والجيران والأصدقاء والأقربان وقالوا لآبيه لو كنت تحمله وترضه
على طبيب ربما انتفع بعلاجه وتعود صحته إليه عن قريب ، فامتثل وخرج
إلى الصحراء في طلبه . حتى اجتمع به ، فلاطنه بالكلام ولاقاه بالبشاشة
والإكرام ثم إنه سار به إلى تريب في تلك الأطراف يقال له علقمة بن
عساف وهو في بلاد "عرب مشهور يعالج كل مجنون ومسحور . فلما دحس عليه
حدثه بقصة ولده على التمام وما هو فيه من العشق والغرام وكيف أنه قد حمل
نفسه مالا يراه إلى أن أنكره . فقال له : يا علقمة من يراه بعد ما كان
فريد زمانه ورحيم دهره وأوازه وفاق بالنصحة والآداب سائر أقرانه ،
فعند ذلك أخذ الحبيب يسقيه تسوية بعد شربة ، ريكرها في الحاجة ، فلما
أكثر د ، المتل أنشد وقال :

ألا يا طبيب الجن ريكهاك داوئى	فإن طبيب الإنس أعياء دائماً
تليت لييب الإنس شيخاً مداوياً	بمكة يعطى في الدواء الأمانيا
فقلت له يا د . حكمت . حكمة	إذا ما كنت في يوم يا د . مايب
نفوس من راء برداً في الحاجة	وسرح فيه سلوة وسنة نيب
نفوس من رضى في يسعون	أحرف رب الناس منك مدوياً
نفوس من رضى في يسعون	يا د . من توى إذا كنت خالي

قال الطيب نعم ليس للعاشق الكتيب دواء إلا منادمة الحبيب ، فإذا
حصل على ذلك الغرض زال عنه ذلك المرض هذا وقيس بعض على لسانه
وشفتيه حتى كاد من فرط الحزن يقطعهما ، ثم نهض وخرج على وجهه
هائماً في الفلوات ، فبينما هو يدور رأى ناراً في بعض الجهات فدنا ، وإذا
حولها قوم رعاة فأنشده وقال :

رعاة الليل ما فعل الصباح ، وما فعلت أوائله الملاح
وما بال النجوم معلقات بقلب الصب ليس لها براح
كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلي العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
رعاة الليل كونوا كيف شئتم فقد أودى بي الحب المتاح
(وقال أيضاً)

ذكرت عشية الصدفين ليلى وكل الدهر ذاكرها جديد
إذا حال الغراب الجون دوني فمقلي إلى ليلى بعيد
على ألية إن كنت أدري أينقص حب ليلى أو يزيد
لها في طرفها لحطات حتف تمت بها وتحي من تريد
وإن غضبت رأيت الناس هلكت وإن رضيت فأرواح تعود
(وقال أيضاً)

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصلا
فإن لميب النار بين جوانحي
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي
وقالوا أين النهر قلت مدامعي
وقالوا ولم هذا فقلت من الهوى
ألم تعلموا وجهاً ليلي شعاعه
تعالوا الصطلوا إن خفتهم القمر من صدرى
إذا ذكرت ليلى أحر من الجمر
فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
سيغنيكم دم مع الجنون عن الحفر
فقالوا الحاك الله قالت اسمعوا عذري
إذا برزت يغني عن الشمس والبدر

مسر بومى خاطر فيؤودها	ويحرحها دون العيان لها فكروى
معمة نوا قابل البدر وجهها	لكان له فضل مدين على المدر
هلاية الاعلى ماطحه الذرى	مرجحة السفلى مرقمة فى الخمس
مسة هيماء مهضومة الحشا	موردة الخدين واضحة الشمر

مدملجة السافين بضئ بضضة
فقالوا أبحر ون فقلت موسوس
ولا ملك الموت المريح يريحى
وهمحت بوتك البين منها حمامه
عنى دوحه تست تحت أصواها
مطارقة طوقاً ترى ن خطاه
أنت أعى لصوت مها فريحت
وقمت لك عودى قلب ترنمت
كان فؤادى حين حرم سريها
مودعتها ولما تقمى فى احده
رحمت كأنى به راحته جفها
أنت صريع الحب دام من الرى
ومنى يد الأيام عن قوس عره
سدين مسمومين من رأس شاهر
سدى دعير فى الهوى متتاً
وكركت ماء كمت من ماء مودة
ولو كمت ايلاً كمت لبل توفى
عيت سـلام الله يا غاية المي

مفلجة الانياب مصقولة الخمر
أطوف بطهر البيد قفراً إلى قفر
ولا أنا ذو عيش ولا أنا ذو صبر
اغدت بليسلى فى درى ناعم صر
نواقع ماء مده رضى الصحر
أصول سواد مطمن على البحر
ثوآداً معى بالمبيحه أو تدرى
تادرت العينان سحاً على الصدر
حياح عرب رمة نضاً إلى الوكر
وتودعهم عادى أفر من صـ
بقيت دم الخبات حين نهضى عمرى
وأصبح مروع الواد من الصدر
سهيلى عسرتنى رقى، جرى
معدرت حجر التراب والحر
مدهت لا ينى لى يزر قمرى
ولو كمت يوماً كمت من غموة الصحر
وأو كمت بجما كمت بدرا لحي يسرى
وقالمتى حتى التيامة والخمر

وقال أيضاً:

يـ حمت إلى باب لا أحما
والذى لا يعلم عيب غيره
فى رلى دى من الطور عده
التمـ رنات ليلى على الناس مثل ما

بلى واين العشر وشفح و"و"
بمدرته تجرى السنان والحر
وعظمه أيام البديحة والحر
على راب سهر فضلت ليلة القدر

تذكرت عن ليلي بليلى من الهوى
إذا ذكرت ليلي أسر بذكرها
مفاجئة الباب لو أن ريقها
هي البدر حسناً والنساء كواكب
يقولون مجنون يهيم بذكرها
إذا ما قرضت الشعر في غير ذكرها
فلا نعمت بعدى ولا عشت بعدا
عليها سلام الله من ذى صبا
أيالى أعطيت البطالة مقودى
مضى لى زمان لو أخير بينه
رأيت ذرونى ساعة وكلامها

ز وفاء أيضا

أُنِيرى مكان البدر إن أفل البدر
تفنيك من الشمس المنيرة ضورها
بلى لك نور الشمس والبدر كله
لك المنيرة الملائه والبدر صالح
ومن أين الشمس المنيرة باضحا

[illegible]

الذى فاق بالفصاحة والنظام على كل أديب وشاعر ، وكان قد عشق. جارية
 فى هذه الأيام يقال لها ليلي بنت المهدي بن عصام وتعلق قلبه بحبها وهام ،
 وهجر الأهل والأحباب وقصد البرارى والهضاب ، واختار القفار وطنا
 واتخذها لنفسه سكنا ، فقال نوح : قد كنت أحب أن أنظر هذا الرجل والقاد
 وأحظى برؤياه لأنى سمعت كثيرا عنه فكيف لي بالدنو منه قال أذكر له ليلي
 فإذا ذكرت لها أفاق وصفا خاطره وراق ، وأنشدك من أشعاره البديعة ما لم
 يسبقه إليه أحد من شعراء عصره وريته . فعند ذلك تقدم نوفل إليه وسأله
 عليه ، وقال له بحياة نيس التي هي عنك أعظم من كل شيء شنف بنفائس
 أشعارك أذن لا تهقد ليعنى : أأنت أسمع ناس كلاما رأجوهم شعرا ونظاما ،
 فيكى قيس رنمسل لما سمع كلام نوح . وأنشد من نوادر متبول القصيدة التي
 قالها فى التدين :

وأيام لا نخشى على اللوم ناهيا
 بليلى نلمن وما كنت لاهيا
 بذات الغضى ترحى المطى التراحيا
 لى سواد الليل فردا يمانيا
 علسا تسامى ضروفا فبدانيا
 ولبت الغضى ماشى الركاب ليليا
 إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
 خليلا إذا أنزوت دمعى بكى ليا
 ولا أشد الأشعار إلا تداويا
 بظمان كل الظن أن لا تلاقيا
 وجدنا طوال الدهر المحب شافيا
 نرد علينا بالعشى المواشيا

تذكرت ليلي والسنين الخوالي
 ويوم كنش الخرج قصرت خـ
 بتمدين لاحت نار ليلي ومجنتي
 فقتال بصبر أترم تحت كبريا
 فقلت له بل نار ليلي تورتت
 فليت ركاب لغوم لم تقطع الغضى
 فبالليل كم من حاجة لى سمعة
 خليلي أن لا تبكبانى ألتمس
 فما أشرب الانقاع إلا صباة
 وقد يجمع الله المستيتين بدما
 لحا الله أقواما يقولون إننا
 وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد

فشب كبرنو ليلي وشب بنوابنها
إذا ما جلسا مجلساً نستلذه
سقى الله جارات ليلي تباعدت
ولم ينسني ليلي افتقار ولا غنى
ولا نسوة صبغن كيداء جلعاد
خائلي لا والله لا أملك الذي
قضاها لغيري وابتلاني بحبها
وخبرتماني أن تسيما منزل
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
فلو أن واش بالنيامة داره
رماذا لم لا أحسن الله حاله
وقد كنت أعلو حب ليلي فلم يزل
غيارب سو الحب بيني وبينها
فأطاع النجم الذي يستدى به
ولاسرت ميلا من دمشق ولا بدا
ور سميت عندي لها من سمية
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها
فإن تمسوا نيفي وتحموا بلادها
هأند عبد الله أني أحبها
بهي الله بالمعروف منها أخيرا
يا أباي أمت يا أم مالك
تسبب النيات في يد يلة

وأعلاق ليلي في فؤادي كما هي
تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
بهن النوى حيث احتلن المطالبا
ولا توبة حتى احتضنت السواريا
لتشبه ليلي ثم عرضها ليا
فضى الله في ليلي ولا ما قاضى ليا
فها بتي غير ليلي ابتلايا
تليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فما للنوى ترمي بليلي المراسيا
وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
من الحظ في تصريم ليلي حباليا
بي القصر والإبرام حتى علانيا
يكون كفافاً لا على ولا ييا
ولا أصبح إلا هيجا ذكره ليا
سميل لأهل الشام إلا بدا ليا
من الناس إلا بال دمه ردايا
من الليل إلا هبت الريح جفيا
على ملين تحموا على القرانيا
فهذا لها عدى فما عندها ليا
وبالشوق مني والغرام قضى ليا
أشرب فويدي (١) واستهان فؤادي
وقد عشت دهرأ لا أدد اللاليا

وأخرج من بين البيوت لعلنى
أراى إذا صليت يمت نحوها
وما بى إشراك ولسكن حبا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
خليلى ليلى أكبر الحاج والمنى
لعمري لقد أبكيتنى يا حمامة العقيق وأبكيت النيون البواكيا
خليلى ما أرجو من العيش بعدما
وتجزم ليلى ثم تزعم أنى
فلم أر مليناً خليلى صبا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى
وإنى لأستحيك أن تعرض المنى
يقول أناس عل مجنون عامر
بى اليأس أو دار الهيام أصابنى
إذا ما استطال الدهر يا أم مالك
إذا اكتنحات عينى بيمينك لم تزل
فأنت التى إن تئدت أشقيت عيشى
وأنت التى ما من صديق ولا عدو
أمصروبة يلى عن أن أرورها
مداسرت فى الأرض الفصاء رأيتى
يمينا إذا كنت يمينا وإن نكن
رأى لأستغنى رما بى نعمة
بى اسحر إلا أن ناسحر رقية
إذا نحن ادجنا وأنت أمامه

أحدث عنك النفس بالليل خاليا
بوجهى وإن كان المصلى ورائيا
وعظم الجوى أعبا الطيب المداويا
وأشبهه أو كان منه مدانيسا
فمن لى بلىلى أو فمن ذا لها بيا
لعمري لقد أبكيتنى وأبكيت النيون البواكيا
أرى حاجتى تشتري ولا تشتري بيا
سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
أشد على رغم الأعداى تصافيا
حليلين لا يرجون إلا تلاقيا
بوصلك أو أن تعرضى فى المنى بيا
يررم سنوا قلت إنى لما بيا
فيايا عى لا يكن بك ما بيا
شأن المايا "تقاضيات وساب
بخير رحلت غمرة من مراديا
وأنت "تى إن شئت أنعمت بالبا
رى تصور ما أبقيت إلا رنى بيا
ومتخذ ديبا لها أن ترانبا
أصانع رحلى أن يميل حيالبا
تتملا يهزى الموى عن سمبا
بى حيلا هنت يدق حيالبا
ولمى لا أبقى ه. لندمر راقبا
كفى مضارا بذكراك هدي

ذكت نار شوق في فؤادي فأصبحت
 ألا أيها الزكبي اليمانون عرجوا
 أسائنكم هل سال نديان بعدنا
 ألا يا حمى طان نعمان هجتنا
 رأبكتنا في وسط صحبي و أكر
 ويا أيها قمريتان تحاوبا
 فإن أسما ستطربتما ر أردنا
 ألا ليت شعري ر إليي وما يا
 ألا أيها اواشي بسلي ألا ترى
 أين طس الأحاب يا أم مالك
 بيارب ر صرت ليلي من الأس
 وإلا فغصها في وادع
 على مثل ليلى يقتل المرء نفسه
 حيلي إن خنسوا بليلى فاعسر
 (قال الواوي) وأما تهي قبس من سحره
 وقال له ذك على هذه الألدات الرثة
 تشريح الخواطر والقلوب وتجيى جمود
 المحبوب ، لأنك ما تركت من طرائف
 وصف الخبيب مقالا لشاعر نبيت
 لهم ربه وقد سب لي أكر مما ترى
 وأشد يقول :

أياحاجات الحى حين تحملوا
 وخيمت لك الملاقى بعرج اللوى
 إلى الله أشكونية سقت لعصا
 بنى سلم لاجاد كن ربيع
 بلين بلى ما إن لهر رجوع
 هي اليوم شتى وهي أمس جمع

فلو لم يهجنى الطاعنون لهاجنى نوائح ورق فى الديار، نؤقوع
فداعين فاستبكين من كان ذاهوى نوائح لا تجرى لهن دموع
لعمري إني يوم جرعاء مالك لعاص لأمر العاذلين مطيع
وما كاد قلبي بعد أيام جاوزت إلى بأجوار الندی يريع
وإن انهمال الدمع ياليل كلها ذكرتك يوماً خالياً لسريع
ندمت على ما كان منى نداهة كما ندم المغنون حين يبيع
لعسرك ما شئ سمعت بذكره كييك يأتي بغتة ويربع
عدمك من نفس شعاع فاني نهتك عن هذا وأنت جميع
فقررت لي غير القريب وأشرقت هالك ثنيا ما لهن طلوع
يضعفني سنيك حتى كأني من الأهل والمال التليد نزع
وحتى دعاني الهاس أحرق مائقة وقالوا تبوع للضلال مطيع

(قال الراوى) ثم تزايدت حسراته وتصاعدت زفرائه، منهذ وبكى
وتأوه وتذكا وقال جاءها الأصحاب وتخلوا عنها الأهل والأحباب فباله من أمر
عظيم رديت جسمه، فقال له نوفل اعلم أبا الأبح المفضل إن دمت على
هذه الحال فإياك هالك لا محالة تنب إلى الله وارجع إليه راعته في
أمورك عليه، يكثف عليك هذا العرض ويزيل من قلبك هذا المرض،
فأجابه قيس قائلاً يا أحمى كيف أضيق نصبر وقد استعل قنبي من لهوى
بجهر، فماله عليك ذهب عني ودعى أقاسى العذاب وأدبته، وورد اخذلك
والعجب، لأنك كلما عزيتى وسيتنى ونصحتنى ازدادت هيرا محتى رقيت
إليه رغبى ثم غاب عنه الخول وأشد وقال

أيام عني فاني د ثم صب لا نرى الجسم قد ودى، مضط
ت قنبي ماذا قد أتيح له من حبه في الأرحام والبرص
صبت عني بلا الله، مارحمت يهرب من الأرض والحارب

البين ربوثلى والشوق يحرحنى والدار نازحة والشملى منتهجب
كيف السبيل إلى ايلي وقد حجب عهدي بها زماناً مادونها حجب
(وقال أيضاً)

لوسيل أهل الهوى من بعد موتهم
لقال صادقهم أن قد بلى جسدى
جفت مدامع عين الجسم حين بكى
هل فرجت عنكم مذمتكم الكرب
اتكن نار الموت في القلب تلهب
وإن سببا سمع عين الروح تنسكب
(وقال أيضاً)

وقالوا ان تشاء سلوت عنها
وكيف وحبها علق بقلبي
لها حب تشاء في فؤادي
وعناذلة تقطعني ملاماً
(وقال أيضاً)

١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

(ناب وای) (تجربہ کرنا) میں سرعہ پڑھتے، عذوبۃ الأرض، رِقْوۃ
وخصۃ، ریمان، لہجہ، رخصۃ، سبب، فقال لہ آیا الحبيب والله اعز
المليح، من علی ویدعہ لہ أن رُبُّک فی هذه الحال تقامی لشداب والذکال
فیر ما تسمیر می لہ "لہنیا وانا" ذریعتک ببعض البنات (لا کڈر من

هي احسن واحلى من ابنة عمك ليلى ، فلما سمع كلامه جمدت عيناه وبططمت
بلاياه ، وقال لا سمعك ، قولك أبداً ولا تركت ليلى على طول المدى ، فعند ذلك
تركه ومارى ربي قيس يهيم فى السهول والأوعار ، ينشد الأشعار ويتقوت
بقبات الممار يقامى المشقات والأخطار .

(قال الراوى) وكانت ليلى منذ تزوجت لا تنشف لها دمة ولا تبرد
لها لوعة وذلك لخوفها على قيس ووجودها به لأنها كانت مشغوفة بحبه وكان
لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اضطبار بل كانت تبكى فى الليل والنهار بدموع
غزار إلى أن فاردم قلبها من فرط عشقها وحبها ، ولما طال عليها الحال
أنشدت تقول من فؤاد متبول :

إذا هدأت رجلى بدأت بذكره	وأحلم فى نومي به وأعيش
إذا ذكر المجنون زالت بذكره	قوى النفس أوكاد الفؤاد يطيش -
ووالله ما زال الفؤاد يحنه	وإن كان صدرى من حواه يحيش

قال البيد بن عبدة ح . ثى بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية رأت
أن لم تنفه عن ذكره لنقتلنك معا ، فبعثت إلى القائل على يد مولاها
رقعة مكتوباً فيها .

توعدنى قومي بقتلى وقتله	فقلت اذنبونى واتركوه من الذنب
ولا تبعوه بعد قتلى ذلة	كفى بالذى يلقيه من سورة الحب

(قال الراوى) ثم استدعت بغلام من أهل الحى الذى كانت تعتم
فيه فى كل شىء وكلمت إلى قيس مع ذلك الغلام تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم
أعلم يا ابن أعم وفك الله من عافيت اختيار أعم أ . قد أوحشى من
آلى الله ، ألك ، وقد سر عو : أن رأنا مواذبة على لأحران لا أرى ذريقاً
نفر ولا نر لمستهم ، إله ن ضاق صدرى رأت صدرى وترت على

الاسقام من كثرة البكاء وقلة الأكل والطعام ، ولا شك بأن حياتي في هذه الدنيا صارت قصيرة وأيام إقامتي بسيرة حيث لم يعد لي صبر على الفراق وقد اكتوى قلبي بنيران الاشتياق ، وما بقي في الأمر إلا التسليم والانقياد على ما قدره علينا رب العباد ، وختمت كلامها بهذه الآيات :

قد كنت حاذرة للدمر عارفة أن سوف يطلبني بالرمي مذتقدا
حتى رماني بمن قد جل عن صفتي فما أرى لي به ويلي الغداة يدا
لقت الدواق بماء العين ثم به كتبت ما يكتب المجهود إذ جهدا
هذا الرداع لمن روى القداة له قد خفت ألا أراه بعده أبدا

ثم إنها أمرت ذلك الشاب أن يسير في طلبه في البراري والهضاب وانها بانتظار الجواب فامتلأ وسار وقصد الروابي والتقى ارولا زال يطلبه في جوارب البر حتى التقى به في يوم شديد الحر قد انجأ إلى كهف جبل عظيم بالقرب من ديار بني تميم وهو مستنق على ظهره وغارق في بحار فكره ينشد ويقول :

أحن إلى ليلى وإن تهطل الموتى برني كما حزن انيراع المنقب
يقولون لبني عذبتك بحبها ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

(قال الراوى) فدنا منه ليعلم رحياء السلام ولا طفه بالكلام ، وقال له أيها الشاب الظريف والأديب اللطيف ، إن محبوبتك ليلى تسلم عليك وقد أرسلتني بكتاب إليك ، فيه ما يسر خاطر ويشرح القلوب والنواظر ، فلما ذكرت له ليلى رجس عقله إليه واستوى جاساً على قدميه ، وتناول الكتاب ودرا ، ووقف على خواجه وطرب وتنهى وكف دموعه وأشد :

مذ جرت منها المكتاب بعيدة خلوت بنفسى حيث كنت من الأرض
ربكي بنفسى رحمة من جهاتها ويكي من الهجران بعضى على بعضى
وأبهر دما مسيماً رحماً وأفضى على نفسى لها بالذى تقضى
شئت روحاً رصاً لا ينهني وحتى في أيام مخطك لا تمضي

ثم أجابها على كتابها يقول : من قيس بن الملوح الهاشمي الواسطي والحبيب .
الصادق ، إلى سيدة الملاح وكوكب الصباح ، درة الصدف وياقوتة الشرف ،
من قد اتصفت بالمحاسن البهية والصفات العلية والآداب السنية ليلي العامرية
إنني بينما كنت متشوقاً إلى استماع أخبارك واستكشاف آثارك ، ولفظك
وحالك ومشاهدة أنوار جمالك ، إذ ورد إلى عزيز رسالتك الموسومة بسماء
الحبة المسفرة عن ازدياد الصحبة والصدقة ، فتلقاها القلب بالفرح وزال
عنه الغم وانشرح غير أنه لا يخفك ما أنا فيه من الكدر والقلق والضجر
وكثرة البكاء والسهرة ، وكيف إنني تركت الوطن المألوف وانفردت في الروابي
والكهوف ، أهيم مع الوحوش والغزلان وأنتقل من مكان إلى مكان ، وحيداً
عربانياً ذليلاً مهاناً أقاسى شراً وأحزاناً لا يستقيم لي حال ولا يرتاح لي بال ،
حتى صرت نحيلاً كالحَيال وذلك من كثرة الأشواق وتداريح الهوى وممرارة
الفراق ، فقاتل الله أباك الغدار وبلاء بالويل واندمار لأنه كان سبب بلقي
وطردني عن أهلي وعشيرتي وما كفاه ذلك حتى أنه زوجك برجل غريب
واختار البعيد على القريب وهذا شرح ما بي من الشقاء والتعذيب . وإنني لك
على طول الزمان حبيب .

(قال الراوي) ثم تصاعدت من أنفاسه الزفرات فحتم كلامه بهذه الآيات

أيامهد لي نعي الحبيب صبيحة	بمن وإلى من جئتما تشيان
بمن لو رآه عانياً لفديته	ومن لو رآني عانياً لفداني
فمن مبلغ عني الحبيب رسالة	بأن فؤادي دائم الخفتان
وان ممنوع من النوم مدنف	وعيناي من وجد الأسى يكفان

(وضمنه أيضاً)

وجدت الحب نيراناً تلظى	قلوب العاشقين لها وقود
نلو كانت إذا احترقت تهانت	ولكن كلما احترقت تعود
كأهل النار إذا نضجت جلود	أنيدت للشقاء لهم جهنم

(وضمنه أيضاً)

أما والذي أعطاك بطشاً وقوة وصبراً وأزرى بي ونقص من بطشى
لقد محض الله الهوى لك خالصاً وركبه في القاب منى بلاغش
تبرأت من كل الجسوم وحل بي فإن مت يوماً فاطلبوه على نعشى
سلى الليل عني هل أذوق رقاده وهل لضلوعي مستقر على فرشى

(وقال أيضاً)

فؤادى بين أضلاعى غريب ينادى من يحب فلا يجيب
أحاط به الملاء فكل يوم تقارعه الصبابة والنحيب
لقد جلب الملاء على قلبى فقلبي مذ علفت له جلوب
فإن تكن انقلب كمثل قلبى فلا كانت إذا تلك القلوب

(قال الراوى) ثم إن ذلك الشاب رجع إلى ليلى بالجواب ، وأخبرها عن قيس وأحواله وما يقاسى من وجده وبلبائه ، فتشوش خاطرهما وتكدرت غمائرهما وتضاعف همهما وغمهما ، وتحسرت على قيس ابن عمها ، فكانت تبكى عليه فى الليل والنهار وتشد رقيق الأشعار ، ودامت على ذلك مدة مديدة وأياماً عديدة . قال واتفق فى وقت من الأوقات أن جاريتها رأت فى بعض الطرقات صياداً معه خمسة غربان ، فاستترتهم وأتت بهم إلى سيدتها فخرجت بهم ليلى إلى خارج البيوت رجملت تضرب غرباباً غرباباً حتى يموت فتعجب زوجها وانذهل . وقال لها ما الذى أحوجك إلى هذا العمل ، فقالت أن نعيق الغراب يدلى نراق الأحباب وتمزيق شمل الأصحاب ، وأن ابن عمى قيساً ذكرهم نى شعره جملة مات ، وأمرهم أن يتدنوا على عرصات القفار وقد قال :

مر أجن غربان تصايح عبوة بينونة الأحباب دمىك سامح
نعم سبأت النعيمان من بيرة كما سل من نظم الآلى تطارح
لا يا غراب بين لاصحت بئدد وأمكن من أوداج حلقك ذاح

يروع قلوب العاشقين ذوى الهوى إذا أمنوا الشنحاج أنك صائح -
 وعد سواء الحب واتركه خالياً وكن رجلاً واجمح كما هو جامع
 نأيب أن لا أقع بغراب بعد هذا المقال إلا قتلته فى الحال ، واعلم يا هذا
 حفظك الله وهداك أن تزوجى إياك لم يكن رغبة فى جمالك ولا فى رفعة
 مقامك وكثرة مالك ، وقد كنت حلفت أن لا أتزوج بعد قيس أبداً ولو مت
 شوقاً وكذا لأنه صاحبي ومعتدى وقرة عيني ومهجة كبدي ، وحببه لا ينتزع
 من قلبي وجسدي ، وليس فى ذلك من عار ولا عيب ولا شئ ، لأن محبتى له لم
 تكن صادرة إلا عن نية صالحة وطوية طيبة ذكية الراجعة ، ولكن كتب
 عبد الملك بن مروان يأمر أبى بتزويجى .

فكان الأمر والكنى ما أصبر على ما رقه القلم وأثبتته الله حيث حكم .
 فلما سمع زوجها ذلك الخطاب اشتبه من كلامها ووقع فى اضطراب وأخذته
 الغيرة وداخله الشك والارتباب ، وتغيرت نيته وتقدم ضميره بالسوء إليها ،
 ثم انه ذهب إلى أبيها فى الحال وقص عليه ما سمعه منها من الماتل : فجل ذلك
 الحديث عند سماعه هذا الحديث ، واضطرب جسمه وارتجف ، وقال له لا
 تخف ، ثم أخذ يلاطفه بالحديث والكلام وأخبره بخبر قيس على التمام
 وكيف أنه حببها عنه من سنين وأعوام وأخرج له كتاب عبد الملك بن
 مروان ، وقال له إن الخليفة يهدر دمه إن عاد واجتمع بها فى مكان وما زال
 يحدثه بمثل هذا الكلام حتى زالت عنه الشكوك والأرهام ، واشتاق إلى
 رؤية قيس ومناذمته وماله إلى معرفته ، وما زال يترقب الفرص إلى أن
 خرج ذات يوم إلى الصيد والقنص فالتقى به وهو فى روضة خضراء بالقرب
 من الصحراء ويترقبه قطيع من الغزلان والوعول وهو ينظر إلى ظبية تضع
 خشنها وهو ينشد ويقول :

لقد حارتنى أم خشف وأنها إذا صرع القوم الكرى تطروق

أقام فريق من أناس بودهم بذات الشرى عندي وبات فريق
بحاجة مخزون كتيب فؤاده رهين بيديضات الحبال صديق
فتقدم زوج ليلى إليه وسلم عليه وأنشد يقول :

ومن عجب جنونك في فتاة مزوجة سواك وان تراها
أيا مجنون كم نهذى بليلى كإن الله لم يخلق سواها (١)
(قال الراوى) فصاح قيس من شدة الرجد والوسواس ، وسأل عنه
بعض الناس ، فقيل له هو بعن ليلي أنى تمجها وترغب قربها ، فخر معشياً عليه
ثم أفاق فأنشد يقول :

بربك هل ضمنت إليك ليلي قبيل الصبح أو قبلت فاما
وهل روت عليك قرون ليلى رفيق الأملحوانة فى نداها (٢)
فصاحك زوج ليلى وتبسم ، وقال اللهم إني حلفت فنعيم ، فلما سمع قيس
منه ذلك المقال اضطرب فؤاده وقبض بكلتا يديه قبضتين من الحجر ، فما
فارقهما حتى سقط معشياً عليه . رمتقط الحجر مع لحم راحتيه ، وعرض على
شغفيه فقطعاها فقدم زوج ليلي مغموما متعجباً منه .

(قال الراوى) وقد تكدر زوج ليلي وأشوش خاضره وتعكر ، وقال
له أحذر يا قيس من غفلات الزمان وسطوات الأعداء فإن أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان قد يهر دمك مرة ثانية إن كنت لا تنتهى عن ذكر
هذه الجارية لأنك فضحتنا فى الأشعار ، وهتكنتها فى سائر الإفطار ، وقد
أعلمتك بحقيقة الخبر فكن من ذلك على حذر . فزاد بقيس القلق واضجر
وفاسر دمه على شغفيه وانحدر ، وقال له والله إنه منذ ثلاثة أيام بينما كنت
طرف فى بعض الآكام زارت حوران وقالالى وحق الملك انه يان لقد

لقد قضى الرحمن بانقضاء أيام عبد الملك بن مروان ثم أطرق ملياً وأقام مدة لا يتكلم شيئاً ثم أمعن فيه النظر وأجال قداح الفكر، وقال أقسم بجامع الشتات ومخرج النبات، أنها سوف تصلكم الأخبار أنه قد مات فاندھش زوج ليلى من كلامه، وارتد راجعاً إلى خيامه، وما مضى أكثر من ثلاثه أيام بعد ذلك الكلام، حتى شاع الخبر بموت عبد الملك في قبائل العربان فتهيج زوج ليلى من ذلك الاتفاق الغريب والامر العجيب.

(قال البربري) ركن أبو ريس لا يطيب له عيش ولا يربح له بال خوفاً على ولده من الهلاك والوبال، لأنه كان عالماً واحداً الذي هو فيه والاشتهاء الذي كان يؤلمه ويرذيه، فخرج من بيته ذات يوم مع جماعة من القوم من زواجره يتحجبون بلباسهم من الناس، فمضى ثلاثه أيام وثلاث ليالٍ الرابع اتفقوا به وهو على الرماح جالساً وقد أشرق برأسه إلى لارض عابساً، فبكى أبرة وتراسي عايه رقبته بن عينييه وقال له يا ولدي وسهجة كسي إلى متى وأنت في هذه الحال تتسمر النساء بالأموال والمشقة والإدلال، بعد ذلك الجاه والإدلال، ما بين عمالك رحمت وأدبك وديك، فقلت كسفاك مادهاك، فقم بنا الآن نرجع إلى الأوطان، فإن الذي أنت فيه الآن، من عمل الشيطان، فاحذره سم رت يرحس، فقال لي يا صاح ولما مررت طامع إلا في هذا الشأن خارج عن حدود إمكان، ثم مضت عياله بالهدوء وأشد من واد مصدرع:

الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكني أعنيها
منيتك النفس حتى قد أضربها واستيقنت خلفاً مما أمنيها
وساعة منك ألوها وإن قصرت أشهى إلى من الدنيا وما فيها (١)
قال له أوه اذكر الله في نفسك قس حلول ومسك، فقال قد صدقت وبالحق نطق وأشد بقول:

ذكرها صاحب الاعاني ص ٨٣ ولم أجدها في الديوان.

دعوت إلهى دعوة ما جاراتها وربى بما تخفى الصدور بصير
لئن كنت تهدي برد أنيابها العلا لأفقر منى . لئنى انقصر
وقد شاعت الأخبار أن قد تزوجت فهل يأتينى بالطلاق بشير
(وقال أيضاً)

ألا تلك ليلى العامرية أصبحت تطامح إلا من ثقيف حباها
هم حبسوها بحبس السدس وابتنى بها المال أقوام ألا قل مالها
إذا انتفت والعيس صعر من البرى بنخله جلت عبرة العين حالها
(وقال أيضاً)

عفا الله عن ليلى وإن سفكت دمي فإنى وإن لم تجزنى غير عائب
عليها ولا مبد لليلى شكاية وقد يشنكى المشكى إلى كل صاحب
يقولون تب عن ذكر ليلى رحبها وما حلى عن حب ليلى بتائب
(قال الراوى) ثم إنه تركهم وذهب ونبط فى ذلك البر راكب وم
زال يحول من مكان إلى مكان حتى وصل إلى جبل يفضله ثوبان وكان كثيراً
ما يجتمع ليلى فى ذلك المكان ، فـ ، رآه تذكر أيام الصبا وتجددت عليه
الضموم والأحزاب وأنشد وقال :

وأجهشت للثوبان حتى رأيته وهلل للرحمن حين رآنى
وأذريت دمع العين لما رأيته ونادى بأعلى صوت ودعانى
فقلت له أين الذين عهدتم حر اليك فى خميب وطيب رمان
وقال ضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا لئنى يبقى مع الخدثان
وأمر ليلى الأوم من حذرى عدأ وراءك . والحيان مؤتمنان
سجراً وبهباتاً ووبلاً وديمة وسجاً وتسجاً إلى نملار
ثم به ليلى من فؤاد مجروح . وإذا به يسمع صوت حمامة نندب إليها
وتسبح قائلاً :

لقد هتف في جنح ليلى حمامة على فنن وهننا وإلى لناهم
فقلت اعتذار - ند ذاك وإني انفسى فيما قد أتيت - للآثم
أزعم أنى عاشق ذو صابنة بليلي ولا أبكى وتبكى البهائم
كذبت وييت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتنى بالبكاء الخائم

(وقال أيضاً)

أيا جبل الثلج الذى فى ظلاله غزالان مكحولان مؤانفان
غزالان شبا فى نعيم وغمطة ورعدة عيش نعيم عطران
أرغتهما ختلا فلم أستطعهما فقرا وشيكا بعد ما قتلا
خليلي أم، أم عمرو فنهما وأما عن الأخرى دلا تسلا
فما صاديات حن يوماً وليلة على الماء دون الورد هن حوان
يرين حمام الال والموت دونه وهن لأصوات اسقاء رواب
بأكثر منى حسرة وصداة اليها ولكن الفراق عرني
خايلي من ميت و مكلم لدينى بمجى فامصب ودران
أقل حاجتى وحدى يبار حاجة قضيت على هول وخوف مكان
وأن أحق المس منى تحية مشرة آها من او يشا تنفان
ومن قادنى الموت حتى إذا صفت مشررة سم ارفع سمى
ثم لمه ترك المكان وقصد الروابى والكشاش وهو يسد الشجر حسان
زبيم مع النوحوش - العرلان .

وانفق أن رجلا من أسد حرج ذات يوم من الد - طائما ابررى
والقفار وكان ذلك فى عام أشهب أمسكت اسماء فيه مطرها و"لارص" نته .
فرحل "فته" ريكب المصعب والداول ، ترده رص وتحمصه أخرى
قال الرجل وما رات أقمطع لسموب والأوعر ، حتى همرت فى مدمسى
حميفة رفعت فى روعة معسبة كثيرة الأنوار رابى ، حى والأزعر - عتى
نفسى إلى البلاط بها وودت أن أقيم فيها وأتره فى بعض بواحيها منات فى

أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة ، وأنخت ناقتي إلى
قنوان شجرة صغيرة وجلست سنيها ، فبينما أنا كذلك أنامل في تلك الروضة
والمروج الطويلة العريضة إذ سقط رجل من جراد كثيره الاعداد على ذلك
الواد فاهترشت جنباتها وأرضها وأخذت طولها وعرضها . فظلت متمججاً
عما أرى .

ثم رميت نظري في زواحيها ، فإذا أنا بشخص أقبل من صدر البرية
ناحل الجسم عار من اللحم ، وما على جسده غير شعر منسدل على صدره ،
وزغبات على عكبه ، فرائض منهرة ، متمار تبي خرقاً ووجلاً وخشيت
أن أكون على شرف الهلاك ، وما شككت أنه شيطان مرد . فلما دنا مني
أنشد يقول :

حب البنا بك يا جراد أرض وإن جاءت بك الأكباد
برماقت لأصاير رثاؤراد يا يكر من لنا قتاد
ولا لابناء السبيل الزاد

فقلت له زنى أنت أم جنى ؟ زنىماً يقول :

إليك عنى فإنى هاتم صب أما ترى الجسم قد أودى به اعطب
زوقل أيضاً .

في قلب مت حزناً ولا تلك جازعا	بأن جزوع القوم ليس بخالد
هويت فتاة كالغزالة وجهها	وكالشمس يسبي دلهـا كل عابد
ولى كبد حرى وقلب معذب	ودمع حثيث في الهوى غير جامد
وآية وجد الصب تهطل دمه	ودمع شجى الصب أعدل شاهد
على ما تطوى من رجده في ضميره	على الآسـات الناعمات الخرائد
فيأليت أن الدهر جاد برجمة	وهيهات أن الدهر ليس بعائد
إليك فعز النفس واستشعر الآسى	فبك ينمى زائداً غير بائد

وقد شجعت ليلى وشط مزارها وغيرها عن عهدا قول حاسد
فيا أسفا حترام قلبي معذب إلى الله أشكو طول هذي الشدائد
قال الرجل ثم خرم فشيأ عليه ، فبادرت إلى الماء وانضجت على وجهه
فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول :

لما دلت لودهمت بسطت عذري إذا ما ألقب عاوده نزوع بها الحين المباح مان بغار
وجرع للغريب به مريع إلى أهل الكرام تشاق نفسي فهل يوما إلى وطى أريع
قال الرجل فتعجب من شدة عشقه وغرامه ورقة شعره وعذوبة كلامه
فقلت له : ويحك يا أخا العرب وسيد أهل الفصاحة والأدب إلى أراك في
عذاب أليم وخطر عظيم وحال سقيم ، ولا شك أن هذا البلاء الذي أنت
فيه والعناء الذي أنت تقاسيه ناتج من هواجس رديئة ورساوس شبيهة النية
فيادر الآن واستعمل فكرك الرزين وتب إلى رب العالمين فهو يكشف عنك
هذا الداء الدنين لأنه سميع بحيب ، ومن اتكل عليه فلا يخيب ، فلما سمع كلامي
بكى من عظم جواه حتى ترازات أركان أعيناه وأنشد يقول :

يحبشون في ليلى على راء أنز من أعدل من يبلى حراماً ولا حلا
سوى أن حباً لو يشاء أقامها وأر تبغى ظلالاً لكان لها ظلا
ألا حبذا أطلال ليلى على "بلي" وما لذات من نوال وإن قلا
فما يتبادى العهد إلا تجددت مردتها عندي وإن زعمت أن لا

فقلت له : ويحك استشعر "صبر" واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب .
واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك "شبهة" . فإن انتهتك يتطعم
موارد الغبطة ، وليس للمبتوك ألفة والمستور طوويل مسة "غبطة" ، فقال :

لقد هم قيس أن يزج بنفسه ويرعى بها من دروة الجبل الصعب
فلا غرو أن الحب للدم قاتل يقابه ما شاء حباً إلى جنب
أناخ هوى ليلى به فإذا به ومن ذا يطبق الصبر عن محل الحب
فيسقيه كأس لموت قبل أوانه ويورده قبل أنمات إلى الترب

قال فأنقسمت عليه أن يأنشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والنهود
والأطراف والحدود فأنشد يقول :

ليلى أصبو بالعشي وبالضحى إلى خرد ليست بسود ولا عسل
 معنة الأطراف هيف بطونها كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل
 وأغافها أعناق غزلان رملة وأعيناها من أعين البقر النجل
 وأثلاثها العليا كأن فروعا وأثلاثها الوسطى كتيب من الرمل
 وأثلاثها السفلى براذى ساحل عناقيد تغذى بالدهان وبالعسل
 وترى فقصائد القلوب عيونها وأطرافها ما تحسن الرمي بالنبل
 ورعن الهوى في القلب ثم سقيته ضبابات ماء الشوق بالأعين النجل
 وعائيب ما صدن القلوب وإنما النيل ريشة بالفتور وبالكحل
 هيم دماء الماشقين مظلة بلا قود عند الحسان ولا عقل
 ريفتن أنساء الصباية عنوة أما في الهوى يارب من حكم عدل
 فقلت هل لك من مزيد أيها الشاعر المجيد ؟ فقال نعم وأشد :

ومفروشة الخدين ورداً مضرجاً إذا جشته العين عاد يفسجها
 شكوت إليها طول ليلى بعبرة فأبدت لنا بالغنج درأ مفلجها
 فقلت لها منى على بقلة أداوى بها قلبي فقالت تغنجها
 يليت يردف لست أستطيع حمله يجاذب أعضاء إذا ما ترجرجا
 قال الرجل ثم قطع شعره وذهب وطلب الهزيمة والهرب ، فأنذهلت من
 أمره ونهضت مسرعاً في أثره طالباً الزيادة من شعره ، فلم أدركه إلا بعد
 الجهد وقد تعلق بحبال نجد فرجعت عنه وقد تعجبت منه .

وحدث رجل آخر من بني كنانة وهو من أهل الصدق والأمانة ، قال
 خرجت في بعض الأسفار أطوى الفياض والقفار والسمول والأوعار ،
 فأتتهى في المسير إلى غدير كبير كأنه البحر المستدير فرأيت في بعض نواحيه
 جارية كأنها البدر انتام وفي يدها بردة وقصعة ملوئة بالطعام ، فتقدمت إليها
 وسألت عليها فردت على السلام بأفصح كلام فبينما أنا أتأمل فيها وأنظر إلى
 حسن معانيها إذ أقبلت عانة من الغزلان طالبة الماء من ذلك المكان ، وفي
 أوائها رجل عريان وهو نحيف الجسم كتيب النفس قد اسود جوده من
 تبحر البرد وحر الشمس فأومأت الجارية إليه وصاحت عليه وأشدت تقول :

وخبرني ان نيام منزل الليل إذا ما الصيف الى المراسم
فهذه شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترى بليل المراسم
فلما سمع كلامها تقدم إليها حتى صار أمامها فألقى نفسها عليه وقبله
وأعطته البردة فأخذها وستر عورته ثم تناولته الطعام، فجلس وأكل وهو يبكي
ويتململ، قال الرجل فتعجبت من ذلك غاية العجب، والتفت إلى الجارية
وقلت لها يا جرة العرب من يكون هذا الغلام وماذا جرى عليه من الأحكام
لاني أرى صفته غريبة وحالته رديئة كئيبة، فقالت هذا والله يا أختي، شقيق
ومهجة فؤادي وكبدى وما كانت هذه الصفة صفته ولا هذه الحالة حاله
وإنما كان وحيد عصره ونتيجة دهره، مشكور السيرة طاهر السريرة فصيح
الكلام رفيع المقام محبوباً من الخاص والعام، وقد اشتهر بالكرم وعلو
الهمم ومكارم الأخلاق والشيم، وانتشر صيته بين العرب والعجم، واتفق
أنه عشق جارية فافتتن بها وهام، وتواترت عليه الأسقام من كثرة الحزن
وقلة الأكل والمنام، حتى انتحل جسمه واعتراه الجنون ومضى عليه مثل
ذلك سنون، وهو يهيم مع الوحوش في البراري والحضاب ولا يقر له قرار
ولا يلتفت إلى خطاب، إذا ذكرت له زالت عنه الوحشة وعاد عقله إليه وذهبت
عن قلبه الرعشة قال الرجل ولما انتهت من كلامها التفت إلى المجنون، وقال
أيها الرجل المسافر إلى أين أنت سائر، وإلى أية حلة تقصد من حلال العشائر،
فقلت له مرادى أن أسير إلى حى بنى عامر أهل المكارم والفاخر، قال بالله
عليك متى إلى تلك المنازل والأعلام أقرىء ليل منى كثير السلام، وأعلمها
بحالى وما شاهدت من أحوالى وبلغها عنى هذه الآيات وأنشد يقول :

أرى الناس أمامي تجدد وصله فغث وأما من خلا قسمين
تخبرني الأحلام إلى أراكم فيأبى أحلام المذام يقين
شهدت بأنى لم أخنك مودة وإنى بكم حتى الميات ضنين
وإن فؤادى لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا بلى سيلين
ثم وثب قائماً على قدميه وأرخى البردة عن منكبيه وصاح صيحة قوية
وذهب مع وحوش البرية، فجعلت أخته تبكي وتلطم خدودها وتعض من

شدة الأربف زودها ، وبكيت أيضاً على صباه وعلى ما أصابه ودهاه ثم ودعتها
وجديت في قطع الهضاب حتى وصلت إلى بني الحريش قبل الغياب ، فقصدت
إلى مضرب كبير وقد حدثني نفسي أنه بيت الأمير ، فلما دُتوت منه وقفت
متفكراً وفي هذا الأمر متحيراً ، وإذا قد أقبلت على عجوز من ذلك البيت
فقال من أنت ومن أين أنت فقلت إني رجل غريب أتيت هذه القبيلة
لأجل ليلى خيلة المجنون العاشق المفتون وقد حملني لها سلاماً وشعراً وكلاماً
فهل لك أن تدليني عليها وترشدني إليها ، فلما سمعت كلامي قالت أبشر يا وجه
العرب بلوغ الأرب ثم إنها غابت وجاءت بجارية بديعة الجمال كأنها الهلال
مسربة بثوب من الخريز الأحمر وفي عنقها عقد من نفيس الجواهر ، يدهش
البصر وعيناها تذرف الدموع وهي تبكي من فؤاد موجوع ، فتقدمت إلى
وسلت علي ، وقالت لي أيها الصديق قد بلغني أنك قد لقيت قيساً في الطريق
فحملك كلاماً تقول لي فأني ليلى المشتومة عليه والمشتاقة إليه . فبالله عليك
حدثني بحديثه وما كان من أمره ، فأنشدتها ما سمعت من شعره فصارت تبكي
وتلطم خدودها وتعض من الأسف على زودها ، هذا ، والعجوز تلطف
بمخاطرها وتضمها إلى صدرها وتقبلها في وجهها ونحرها ، وقد احتارت في
أمرها ، ثم انتفتحت إلى بعد حين وتهدت من قلب حزين . وقالت يا صاحب
الحمة العلية وكاشف الغمة والبلية إذا اجتمعت به مرة أخرى في البرية أهده
مني جزيل النحية وأنشدته هذه الأبيات :

ألا ليت تمرى والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسى من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع
قال ثم إنها أضافتني وترحت بي وأكرهني فأفتت عندها ثلاثة أيام في عز
ولا كراه ثم استأذنت وانصرمت من حيث أتيت وتدعجبت عما سمعت ورأيت .
(قل لراوى) وكانت بيني وبينها طعام ولا تتركه ينام بل تقضى ليلى
الطويل . الركاء والنويل ، وتخاصب نفسها باللاماة ونعش على بديع . سنه
ونداية . حتى رآل نشاطها وحال . رتمسكن منه . مرض والبالبال . وفي كل يوم
ردد عليه الكلام حتى أقصص صوتها عن الكلام ، وشربت كأس الحمام فكفنها

أهلها وواروها التراب واكثر واعليها الانتحاب ومزقوا ما عليهم من الثياب .
 (قال الراوى) فبينما كان يطوف من مكان إلى مكان وهو كثير الهموم
 والأحزان إذ مر به فارسان فنعياها إليه وقالوا قد حكم الله عليها بالموت
 وهو كائن ليس لأحد منه فوت ، لم يسلم منه ملك شديد ولا جبار عنيد ، فعز
 نفسك الآن وتب إلى العزيز الرحمن ، واستقبل الأحكام بالرضى واستسلم
 لموارد القضا وقابل عوارض المحن والضير بما قاله كعب بن زهير :
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حديداء محمول
 قال فلما سمع منهما ذلك الخطاب أظهر الكتاب واستعظم المصائب ،
 وأخذته الرعدة والاضطراب وغلب عن الصواب وعلا زفيره وشهيقه حتى
 رق له عدوه وصديقه وأنشد يقول :

أيانا عي ليلي بجانب هضبة أما كان يسعاها إلى سواكا ويانا عي ليلي بجانب هضبة
 لن بعد ليلي لأمرت قواكا ويانا عي ليلي لقد هجتها لنا تسارح نوح في الديار كلاكها
 نلا عشتا إلا حليف مصيبة ولا متما حتى يطول بلاكا وأسدت الأيام فيها عجائباً
 موتسكا أنى أحب رداكا أظلمكا لا تعلمان مصيتى لقد حل بين الوصل فيها أراكا
 ثم مضى حتى دخل الحى وهو فى غم شديد وحزن ما عليه من مزب بعد
 أن كان لا يمر به إلا من بعيد فأتى أهل بيتها فعزاهم وعزوه ، فقال دأوني على
 قبرها فدلوه ، فلما رآه عظم مصابه ررمى بنفسه عليه . والتمسه من شدة
 عشقه وجواه وضمه إلى صدره وقد حار فى أمره وأنشأ يقول :

أيأ قبر ليلي لو شهدتك أعولت	عليك نساء من مصبح ومن مجـ
ويا قبر ليلي أكرس حملب	يكن لك ما عشتما عابها به
ويا قبر ليلي أن إلى عريـ	بأرضك لا تدخل لدينا رلا سم
ويا قبر ليلي ما تصمت قبها	سبيها ليلي دأ عاب وداكر
ويا قبر ليلي غابت يوم دأها	وخباتها وأحاطت لها

قال : ثم إنه كان بأرى إلى قبر أبيه ويدور نهاره وهو يرتبها ثم رحت
 جف جنده على عظمه . وضعفت قوته واشتدت بآيته . ثم إن رجلاً
 من بني أحماد راى نظره إليه وإلى ناحية فعد ، قال انرح من حرجت

أطلبه في البراري بعد أن أرشدني أهله عليه وقد أفهموني بأن أنشدته بعض
شعر قيس بن ذريح وذلك ذريعة الدنو منه إلى أن لقيته قاعداً يلعب بالتراب ،
فسلمت عليه وجلست منه بمكان قريب ورد على السلام فقلت له يا صاحب
الوجه المليح والكلام الفصيح ما أحسن قول قيس بن ذريح حيث يقول :
وأني لمن دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كان
وما كنت أخشى أن تكون منيتي ، بكفي إلا أن ما حان حائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بلية فراق حبيب بان أو هو بان
قال : فبكي بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول :

لصغراء في قلبي من الحب شعبة
به حل بيت الحب ثم انثني به
ومن يتبعض حبهن فواده
فخران صادان يزد عن به مشرب
بكت دارهم من نشدهم رتمالت
أهذا الذي يبكي من الهزن و"يلا
من الله أشكر حب ليلى كاشكا
فدي جاره "الأقربون فدمخمه
أفي احق هذا أن قبيل دارة
إذا ذكرت من أن به سرها
عني دما أسد إن كان حبه
يحيي في من ، ليكم كان حبه
(يوتس) : نور مقلتي تبتني بدمي
فما لي في الحبيث الحري
دمعت دموعي على الخد مقلتي
دمعة دموع دموع دموع
وراء لي من دموع دموع
فكرت في دموع دموع
وإن حزن من دموع دموع

هوى لم ترمه الغانيات صميم
فزال تبيوت الحى وهو مقيم
يمت ويعش ما عاش وهو سقيم
وعن بللات الماء وهو يحوم
دهوعى فأى الجازعين ألوم
أم آخر يبكي شجرة ويهيم
إلى الله فقد الوالد ين يهيم
أسد ونقد الوالد ين عظم
وقلبي مم قد أجى بهيم
كما أن بين دموعات سقيم
تبي السامر في طول الزمان بهيم
ولكنه حفظ لها ونهيم
دور فاض الغيرت من دموع
كما بهيم دموع دموع
فقلت ذلك دموع دموع
حنت تارت دموع دموع
نستمن دموع دموع دموع
فكرت دموع دموع دموع
أنى أيا من دور الشهد دموع حبيب

ومني حتى إذا ما رايتني
صددت وأشمتت العداة بهجرنا
أبعد عنك النفس والنفس صبة
مخافة أن تسعى الوشاة مظنة
أما والذي يبلو السرائر كلها
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة
وأني لاستحييك حتى كأنما
تلدن حتى يذهب اليأس بالهوى
سأستعطف الأيام فيك لعلها
(وقال) ألا هل طلوع الشمس يهدي تحية
اتضرب ليلي إن مررت بذي الغضى
أحل على الرجم إن قلت حبذا
(وقال) فياليت ليلي وافقت كل حجة
فتجمعنا من نخلتين ثنية
فألقاك عند الركن أو جانب الصفا
فأنشدها أن نحوى لهون والهوى

على شرف للناظرين قريب
أثابك فيما تصنعين مثيب
بذكرك والممشى إليك قريب
وأكرمكم أن يستريب مرريب
ويعلم ما تبدى به وتغيب
لها دون خلان الصفاء حجب
على بظهر الغيب منك رقيب
وحتى تكاد النفس عنك تطيب
يوم سرورى فى هواك تتوب
إلى آل ليلي أودتو غروبها
وما ذنب ليلي إن طوى الأرض ذيبها
غروب ثنايا أم عمرو وطيبها .
قضاء على ليلي وإني رفيقها
يعض بأعضاء المطى طريقها
ويشغل عما أهل مكة سوقها
وتمنح نفسها طال مطال حقوقها

وزاره الأعرابي ثانية بعد انصرافه إلى الحى وقد حدثهم بحديث قيس وما
أنشده من شعره فوجدته على كتيب من الرمال وهو يخط بأصبعه فيه ، فدنا
وسلم عليه وقال : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

لواكبرى وعاولدنى رواعى وكان فراق لنى كالخداع تكفى الوشاة فأزعجوني
ني الله للمواشى المطاع فأصبحت الغداة ألوم نفسي على شيء وايس به استطاع
كفبون يعرض على يديه تين غنمه بعد البيع
إذا ما تذكرين تحى نفسي حنين الألف يضرب ناسخ
قال المجنون : بلى والله واستعز حيناً ثم قال : أنا أشعر منه حيث أقول
ألا يا نسيم الريح حكمك جائر على إذا أرضيتنى ورضيت
سأيا نسيم الريح لو أن واحداً من الناس يلبيه "هوى ليليت

قلو خلط السم الزعاف بريقها تمصصت منه نهلة ورويت
ثم قال إن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول :
وعارصن بالعقبات مفلج به الظلم لم تقل لمن غروب
رضاب كريح المسك يجلو متونه من الضر أو فرخ البشام قضيب
ثم غشى عليه ، فلما أذاق قالت أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :
هبوني امراً أن تحسنوا فهو ساكر لذلك وإن لم تحسنوا فهو صافح
فإن يك أقوام أشاروا بقتلها فإن الذي بيني وبينك فاضح
وقال أنا شعر منه حيث أقول :

وأدنيته حتى إذا ما فتنني بفول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح
قال الأعرابي : فلما أتم هذه الأبيات ظهرت له ظبية فتعلق قلبه بها ووثب
مسرعاً في طلبها والتفت إل وقال : السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا
أبدأ ، قال الهلالي : ثم رجعت إلى الحى وقد احترق قلبي بكى ، فأنشدتهم ما
سمعتهم من شعره فكتبوه وأخبروه ما كان من أمره ، فلما كان من الغد
بكرت وطلبته وفتشت عليه فلم أفق له على أثر ، فأخذني القلق والضجر
فأنصرفت إلى الحى ، حيث أساء وأذلهم بالخبر . نقام إخرته ومن يلوذ
من أهله وأقاربه فطلبناه يومنا وليلتنا في القنار والسمول والأوعار ، فلما
أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل ، وإذا نحن به ملقى ميتاً ، بين
حجرين وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

توسد أحجار المهامه والقفر ومات جريح القلب مندمل الصدر
فيا ليت هذا الحب يعشق مرة فيعلم ما يلقى المحب من الهجر
فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء والنحيب وحملناه إلى الحى فبكى عليه
الغريب والقريب وكل صاحب وصديق ومن سماع باسمه يوماً ، وتأسف أبو ليلى
عليه وتدم على عدم زواجه بإبلى غاية الندم وقالوا لله لقد قابلته بالاستخفاف
وغاملته بغير الحق والإنصاف ، ثم تقدم لآييه وضمه إلى صدره وبكى عليه
وبعد ذلك غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمهما الله تعالى .
وكان ذلك في السنة الثمانين من الهجرة الحمديّة الموافقة سبعمئة مسيحية . -